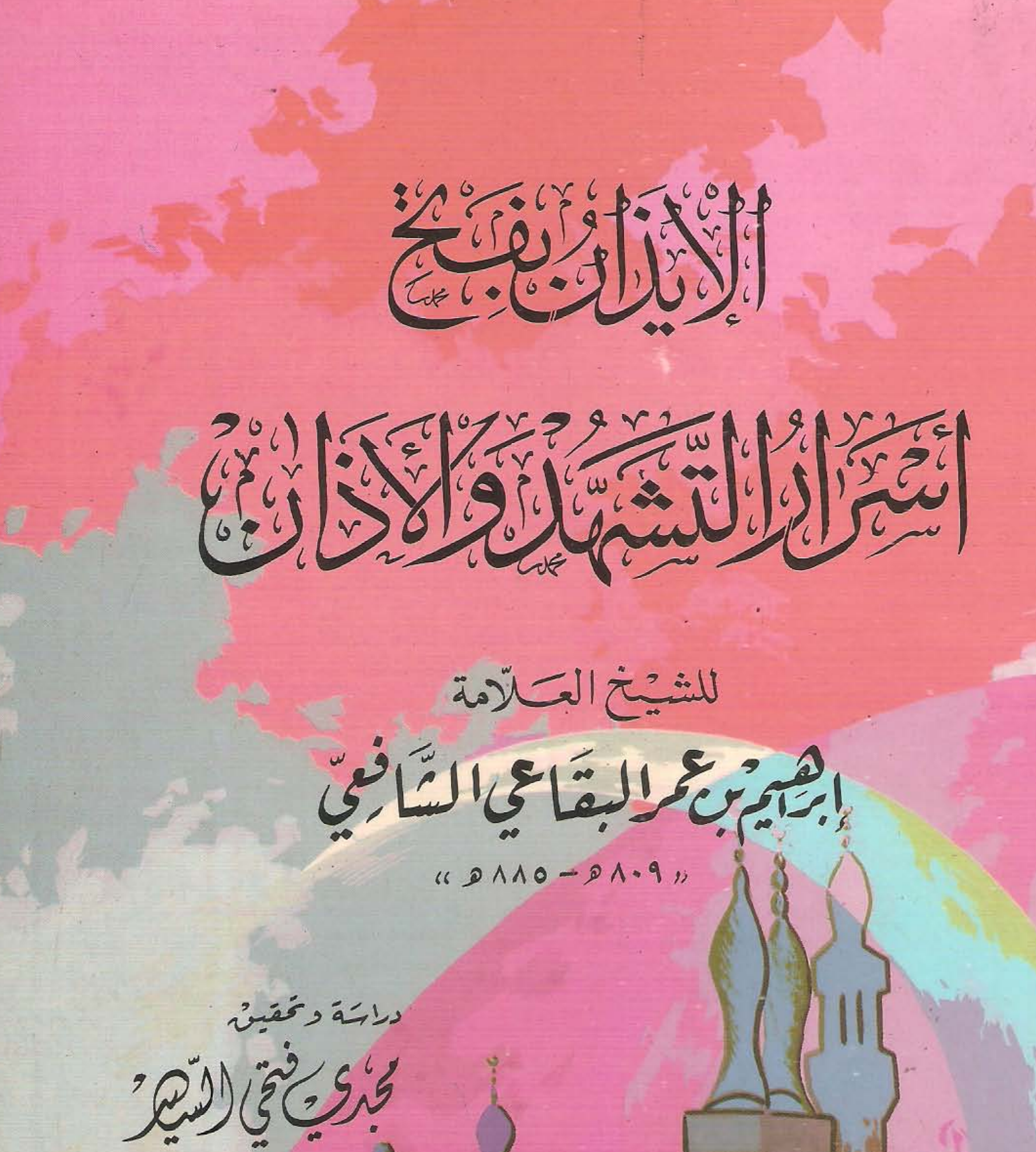


الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان

للشيخ العلامة

إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي

«٨٠٩هـ - ٨٨٥هـ»

دراسة وتحقيق

مجدي فتحي السيد

الناشر
مكتبة الفوائد

توزيع
مكتبة الرشد
الرياض

الإيذان بفتح

أسرار التشهد والأذان

للشيخ العلامة

إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي

« ٨٠٩ هـ - ٨٨٥ هـ »

دراسة وتحقيق

مجدي فتحي السيد

الناشر
مكتبة الفوائد

توزيع
مكتبة الرشد
الرياض

الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عن المنهج في التلقي والتأصيل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد رغب إليَّ الأخ حيدر على عبد الرحيم بالنظر في كتاب «الإيذان...» للبقاعيِّ، ت: ٨٨٥ هـ رحمه الله، الشافعيِّ مذهباً، والأشعريِّ عقيدة.

وقد وجدت الكتاب على صغر حجمه قد احتوى على بعض من الحِكَم، والأسرار، والمقاصد، التي تتعلق بالأذان، والإقامة، والتشهد، وبعض اللطائف اللُّغوية.

مسلك المؤلف في الصفات:

لكن المؤلف عفى الله عنا وعنه أدخل في الأصل الثاني الذي عقده للأسرار والحِكَم بعض المصطلحات التي نسجها الكلاميون حول أسماء الله وصفاته، ومن هنا تعين التنبيه عليها.

وللتأكد من موقفه في الأسماء والصفات: رجعنا إلى تفسيره المسمى «نظم الدرر...» عند الآيات التي تُقرر: الصفات الخبرية، الذاتية، والفعلية، وهناك وجدناه قد تبنى قواعد وأصول الأشاعرة الكلابية بوضوح وبنفس الجرأة التي اشتهر بها الأشاعرة المتأخرون.

الخطة في مناقشته:

ومن هنا جاءت خطتنا لتصحيح بعض أفكار وأصول الأشاعرة الكلابية الواردة في هذا الكتاب وهي مكونة من نوعين:

أحدهما: كان موضوعه التعليق ـ لبيان منهج أهل السنة والجماعة ـ على أربعة مواضع في هذا الكتاب وهي الصفحات: (٥٣، ٥٤، ٦٥، ٦٧) فلتراجع لارتباطها الوثيق بهذه المقدمة(*).

والآخر: يتكون من ثلاث وقفات منهجية تضمنتهن هذه المقدمة.

فالوقفة الأولى: جاءت لتبين لنا أن أَمْر صفات الله تعالى عند الأشاعرة على اختلاف في التفصيل بين المتقدمين منهم والمتأخرين: مبنيٌ على «العقل وحده» واستشهدنا في هذه الوقفة على خلطهم في مصادر التلقي بأقوال أهل العلم التي أكدت لنا في نهاية المطاف بأن مسلك الأشاعرة في هذا الباب باطل ومنحرف عن الحق.

وقد تورط الأشاعرة في هذا الأصل بسبب فكرتهم المشهورة. وهي سعيهم ـ قدماء ومعاصرين ـ إلى الجمع والتوفيق بين: أصول المعتزلة القدريين، وبين منهج أهل السنة والجماعة في هذا الشأن وهذه منهم محاولة في «جمع ما فرق الله بينه» وأنى لهم ذلك.

الوقفة الأولى:

وهذه الوقفة سنقضيها مع قول المؤلف: ص ٥٣ (قواعد الدين العقلية..) هذه هي أحد الأصول والمباديء والقواعد المنحرفة التي عليها أسس الأشاعرة عقيدتهم، وهو أنهم يعتمدون في إثبات ومعرفة صفات الله تعالى على العقل وحده وهذا شأنهم قديماً وحديثاً.

فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ت: ٧٢٨ هـ في معرض رده، ونقده بعض مصادر التلقي عند الأشاعرة والتي بنوا عليها أُصولهم ومبادئهم: كما في

(*) وللتمييز بينها وبين تعليقات المحقق لأصل الكتاب أشرنا إليها في المواضع الأربع. بعلامة هكذا: (*).

«شرح العقيدة الأصفهانية» قال: « إن مسائل ما بعد الموت ونحو ذلك: الأشعريُّ وأتباعه ومن وافقهم يسمونها: السمعيات، بخلاف الصفات والقدر، وذلك بناءاً على أصلين». وبعد أن ذكرهما قال: «وكثير منهم أو أكثرهم يضم إلى ذلك أصلاً آخر وهو: أن السمع لا يعلم صحته إلاَّ بتلك الأصول التي يسمونها بالعقليات».

وعن ثمار مصدر تلقيهم هذا: قال شيخ الإسلام في نفس المرجع السابق:

«ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله: لا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به، فلا فرق عند من سلك هذا السبيل: بين وجود الرسول وأخباره، وبين عدم الرسول وعدم إخباره، وكان ما يذكره من القرآن، والحديث، والإجماع في هذا الباب: عديم الأثر عنده، وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق. . .، وهؤلاء الفقهاء متناقضون في هذا الباب: فتارة يقولون بذلك موافقة للأشعرية المتكلمين. . .».

الموقف الواجب علينا: قال عنه شيخ الإسلام في نفس المرجع:

«وإن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفاً على أن يقوم عليه دليل عقليٌّ على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام: أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيءٍ من صفات الله تعالى: وجب علينا التصديق، وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا. . .

والمقصود هنا التنبيه على أن طريق السلف، والأئمة الموافقة للطريق التي دلَّ عليها القرآن وأرشد إليها هي أكمل الطرق وأصحها. . . إذ العقل الصريح لا يخالف السمع الصحيح، بل يصدقه، ويوافقه كما قال تعالى: **﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق﴾**، وقال تعالى: **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾**». والذي قرره شيخ الإسلام هنا من أن العقل ليس مصدراً للدين هو الحق، وقد دلَّ الكتاب والسُنة والإجماع على ذلك، وهكذا كان

مفهوم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. فقد روى الإمام أبو داود في سننه بسند صحيح عن علي رضي الله عنه قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ﷺ مسح على ظهر خفيه».

الوقفة الثانية:

نخصص هذه الوقفة لبيان منهج البناء والتأصيل مع بيان مكانة العقل عند أهل السنة والجماعة، وقيمته، وأنه أحد وسائل وأدوات المعرفة والعلم تحت عنوان:

حتى يزول الالتباس:

فإن كثيراً من الكتّاب القدماء والمعاصرين: يجاهرون علناً وبدون مستند صحيح: بالقول: إن أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان: ليس عندهم مكانة، ولا قيمة: للعقل على الإطلاق.

وهؤلاء الكتاب بقولهم هذا التبس عليهم الأمر أو يتعمدون قولهم هذا وأيّا كان الافتراض فنحن نُلقي الأضواء في هذه الوقفة على منهج أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع «العقل والمعقول»: حتى يزول الالتباس من جهة، ونصحاً للأمة وأبنائها من جهة أخرى في الحاضر والمستقبل.

قيمة العقل في هذا المنهج:

لا نحسب أن ثمة منهجاً أعطى ومنح القيمة، والمكانة، والحماية، والحراسة، والرعاية، والكرامة، والمساحة للعقل مثل ما منح ذلك كله منهج أهل السنة والجماعة للعقل البشريِّ وذلك بأصول منضبطه من خلال الكتاب والسنة، والإجماع: وهذا كله هُيِء ليقوم العقل البشريُّ بالمهام التي من أجلها خلقه الله تعالى.

فقد جعله الله مناطاً للتكليف والمسئولية، وأسند إليه استنباط الأحكام في مجال الاجتهاد في حق العلماء من خلال: الاستنتاج والملاحظة فيما يتعلق بالأحكام.

أما فيما يتعلق بمصالح الدنيا فهذا المنهج قد أطلق العنان للعقل ليبدع، وينتج في إطار السلوكيات المشروعة، والرقابة الذاتية.

فمن مجالات العقل في هذا المنهج:

نموذجنا الذي يجسد هذه الحقيقة من خلال توجيهات هذا المنهج ومصادره هو ما يسمى اليوم «العلوم الإنسانية» فإن المسلمين هم الذين وضعواْ أُسسها الأولى، ولم يمنعهم هذا المنهج أن يستفيدواْ ممن سبقهم في التجارب الناجحة .

وقد برز المسلمون في ميادين كثيرة من خلال منهجهم هذا كما في العلوم العسكرية من خلال الفتح الإسلامي، وبعض الجوانب من الطب البشريّ، كالبصريات، والدورة الدموية، والرياضيات، والجغرافيا، وعلم النبات، والزراعة، والتجارة، وعلم الحيوان، وعلم الاجتماع. وهذه العلوم كانت تُدرس إلى أوائل هذا القرن باللغة العربية، وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (٥/ ٩٣) إلى تشبع هذا المنهج بهذه المعاني حيث قال: «وأما الأمور التي يستقلُّ بها العقل: فمثل الأمور الطبيعية: مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفُلانيّ، فإن مثل هذا يُعلم بالتجربة، والقياس وتقليد الأطباء، الذين علمواْ ذلك بالقياس أو التجربة وكذلك مسائل الحساب والهندسة ونحو ذلك هذا مما يُعلم بالعقل».

البُعد المُغَيَّب :

وكان كل العالم المعروف اليوم «بالبلدان المتقدمة» يوم ذاك في ظلام وتخلف.

وعلى سبيل المثال فإن الأمم قبل الفتح الإسلامي داخل الجزيرة وخارجها: كانت تعتقد أن «النجوم» يمكن من خلالها معرفة الغيب. وعندما جاء الإسلام بهذا المنهج الوضاء: حرم التنجيم وأعلن أنه «لا يعلم الغيب إلا الله».

ثم نبه العقل البشري في منهج مُحكم ومنضبط: إلى الأوجه التي يمكن أن يستفيد بها العقل من النجوم، فقد جاءت الإرشادات، في القرآن والسنة على أن

هذه النجوم أجسام مسيرة، تدلُّ بالحساب على عدد السنين والشهور لضبط عنصر الزمن لما يتعلق به، من عبادات، وعلامات يهتدى بها.

وأخيراً أخذ الغربيون هذا التوجيه العلميّ الحضاريّ، وطوروه، وادعى بعضهم كذباً وخيانة: ابتكاره، وصدقهم على ذلك أهل المعاصي، والذنوب من المسلمين. بينما المسلمون الثقات العدول المأمونون على الإسلام ومكتسبات المسلمين: هم الذين وضعواْ لهذه العلوم، والمعارف أسس التطبيقات العملية، وذلك على ضوء منهجهم القويم.

المنهج وحماية العقل:

ولما كان العقل بهذه المنزلة من الأهمية شرع الله أحكاماً لحمايته من أي شيءٍ يضره أو يعطله عن القيام بمهامه. ففي مجال الاعتقاد حرم كل ما يضعف ارتباطه بالله تعالى فمنعه من: الطيرة، والتشاؤم، والهامة، وصَفَر، والعدوى، وتعليق التمائم وغيرها من الأحراز، واتيان العرافين والكُهَّان، والغول، والسحرة، والتِّوَلَة، والاعتقاد بالأنواء والنجوم: لما لهذه المفاهيم من عوارض، وموانع تحول بين العقل ومهامه التي من أجلها خلقه الله تعالى.

بل لها مضار جسيمة على العقل وقد قرر المحققون من أهل العلم: أنها على الإطلاق هي أعظم معضلات العقول في كل زمان ومكان لأنها تفضي بأهلها إلى الشرك بالله تعالى.

كذلك في معرض حماية عقل المسلم حرم الله شرب المسكرات وتعاطي المخدرات وامتداداً لهذه الحماية قد تقرر في منهج أهل السنة: أن من اعتدى على عقل مسلم فعليه دية كاملة. قال ابن قدامة في المغنيّ: «لا نعلم في هذا خلافاً».

العقل من أدوات المعرفة:

ومن هنا فإن العقل يعتبر في منهج أهل السنة والجماعة هو أحد وسائل المعرفة والعلم عند الإنسان، وهذه الوسائل على كثرتها، وتعددها: تنتظم تحت نوعين:

النوع الأول: فطريٌ خلقه الله تعالى في الإنسان وهو يشمل الحواس الخمس، والعقل، ومن وظائف الحواس الخمس أنها المنافذ التي توصل المعلومات إلى العقل، لكن هذه الوسائل تبقى في فلكها المحدد لها الذي فطرها الله عليه على أن العقل له على الحواس مميزات منها: الاستنتاج، والملاحظة، والمقارنات. ومن خلال ذلك فالعقل صالح للإقرار بوجود الله، وأن الله تعالى هو الخالق، الرازق، المالك، المحيي، المميت، وقد أقرَّ بذلك كفار قريش وغيرهم.

لكن العقل بواسطة هذه الميزات: لا يستطيع معرفة حقوق الله تعالى، وأسماءه، وصفاته، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، أو يكرهه، وهذه أمور ليس في مقدور العقل إدراكها أو معرفتها بنفسه مستقلاً عن الوحي.

فإذا ما حاول تأصيل قواعد في الدين منفصلاً عن «الوحي» فإنه يضلُّ السبيل ولابدَّ، ويصل الأمر بأهله إلى الحيرة، والندم، كما عبَّر الرازيُّ عن تجربته في هذا الميدان بقوله:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

....

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

هذه بعض معالم منزلة العقل عند أهل السنة والجماعة وهي بنصها ومضمونها جاءت لتؤكد لنا أن لابدَّ في هذا المجال من وسيله أخرى محمية ومحاطة بعصمة الله لها تضيىء للعقل الطريق، وهذا محلُّ بيانه النوع الثاني وهو الآتي.

النوع الثاني هو الوحيُ:

وأسماء الله وصفاته في هذا النوع وهو الوحي كتاباً، وسنة جاءت مبنية: على النفي، والإثبات، نفي ما لا يليق بالله، وإثبات ما يليق به سبحانه من كمال الصفات.

١- ففي النفي قال تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾، وقال تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾، وقال تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ وثبت في الصحيح أن النبيَّ ﷺ قال: «أيها الناس أربعواْ على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أَصمَّ، ولا غائباً» كذلك ثبت في صحيح مسلم الحديث القدسيُّ من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي».

٢- وفي الإثبات قال تعالى: ﴿اللّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾، وقال تعالى: ﴿قل هو اللّه أحد اللّه الصمد﴾، وقال تعالى: ﴿هو الأول، والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم﴾، وقال تعالى: ﴿هل ينظرون إلاَّ أن يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام﴾، وقال تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾، وقال تعالى: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾، وقال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وثبت عن النبي ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما، قوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

وفي سنن أبي داود ثبت بسند صحيح قول النبيِّ ﷺ: «إن الله عز وجل: حيٌّ، سِتِّيرٌ يحب الحياء، والسَّتْرَ: فإذا اغتسل أحدكم فليستتر».

وثبت في الصحيحين قول النبيّ ﷺ: «للهُ أشدّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب، من أحدكم براحلته».

حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود:

من مميزات منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في عرضهما وبيانهما لصفات الله تعالى إنه دائر بين النفي المجمل، والإثبات المفصل، فإن الصفات الثبوتية في القرآن والسنة أكثر من الصفات المنفية أو السلبية وهذا سواءاً كانت من حيث الكمية العددية أو من حيث البيان التفصيليّ، وستجد ذلك حتى فيما عرضناه هنا من النماذج على قلتها.

هذا هو منهج الوحي الذي تلقاه أهل السنة والجماعة فلو أنك حسبت آيات وأحاديث الإثبات لوجدتها بالآلاف بينما آيات وأحاديث النفي ستجدها قليلة لو قارنتها بقسم الإثبات.

والملفت للنظر في هذا الباب: أن المتكلمين وفي مقدمتهم الأشاعر والماتريدية في هذا الباب عكسواْ هذا المنهج حيث امتلأت كتبهم بالنفي المفصل، والإثبات المجمل، وهذا الخلط جاء من توهمهم الغير وارد أصلاً وهو القائل: أن إثبات صفات الله الخبرية الذاتية، والفعلية توهم التشبيه، حيث أنها أوصاف مشتركة بين الخالق والمخلوق. وأهل السنة عندهم هذا التلازم مفتعل وغير وارد، ولا هو لازم، لا نقلاً ولا عقلاً ولا نصاً، ولا فصاً ولا أصلاً، ولا فرعاً، ورسالة: «التدمرية، والحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع «شرح العقيدة الواسطية» للدكتور هراس قد تحرر فيهن هذا الموضوع والحمد لله.

تأريخ شبهة تقديم العقل على النقل:

قد سجل التأريخ أن الفِرق المنحرفة على اختلاف مشاربها اعتمدت على العقل على أنه مصدر مستقل تُبنى عليه قواعد الدين، وهو الحاكم على النقل، ونشأة هذا الانحراف يُعيدها أهل العلم إلى قياس إبليس، فقد قال ابن القيم في «الصواعق المرسلة»:

«إن معارضة الوحي بالعقل ميراث: عن «أبي مرة» - إبليس - فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه، فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي...

وإن الخائضين في صفات الرب، وأفعاله وما يجوز عليه، وما لا يجوز بآرائهم، وعقولهم: تراهم مختلفين، متنازعين، حيارى».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل»:

«فتبين أن هؤلاء الذين يدّعون العقليات التي تعارض السمعيات: هم من أبعد الناس عن موجب العقل ومقتضاه. كما أنهم من أبعد الناس عن متابعة الكتاب المنزل، والنبيِّ المرسل، وأن نفي ما به يقدحون في أدلة الحق التي توافق ما جاء به الرسول: لو قد حوا به فيما يعارض ما جاء به الرسول: لسلموا عن التناقض، وصحَّ نظرهم، وعقلهم، واستدلالهم. ومعارضتهم صحيح المنقول، وصريح المعقول بالشبهات: فاسدة... ومذهب أهل السنة والجماعة أهل الإثبات للأسماء والصفات: أن مبدأ أنواع الضلالات هو من تقديم الرأي على النص، فَسَرَى في المنتسبين إلى العلم، والدين من أهل الفقه بسبب هذا الأصل ما لا يعلمه إلا الله».

الوقفة الثالثة:

سنقف فيها على أصلين للأشاعرة:

الأصل الأول: عند قول المؤلف ص٥٣: (الله أي: الملك) فهذا المعنى ونحوه للفظ الجلالة «الله» هو أحد الأصول التي تبناها المتكلمون، ومن بينهم: الأشاعرة، والماتريدية الكلابية وهو تأويل منحرف عن الحق.

ونحن هنا سنبين باختصار موقف أهل السنة والجماعة كبديل لهذا الانحراف في أسماء الله تعالى وصفاته.

أولاً- التحليل اللُّغويُّ للفظ الجلالة «اللَّه»:

قال الزجاج في: «اشتقاق أسماء الله»: «إلـه... مألوه أي: معبود مستحق للعبادة، يعبده الخلق، ويُؤَلِّهُونَه».

وقال أبو الهيثم كما في «لسان العرب»: «أصل إله: وِلاه فقلبت الواو همزة» ومعنى وَلاه: أن الخلق إليه يولَهُون في حوائجهم، ويفزعون إليه فيما ينوبهم كما يوله الطفل إلى أمه».

قال الجوهريُّ في: «الصحاح» تحت مادة «أله: وأصله إلاه... مألوه أي: معبود».

ثانياً - بيان بعض معاني « اللَّه» نفياً وإثباتاً :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في: «درء تعارض العقل والنقل» «الإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسَّر المفسر: الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخصُّ وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفات، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه: لم يعرفواْ حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله».

ينابيع الخير بلا حدود :

وقال ابن القيم في «الجواب الكافي»: «وكلمة: لا إله إلاَّ الله: هي التي يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي التي وَرَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة، وهي الكلمة: التي قامت بها الأرض، والسماوات، فطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسست الملة، ونُصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة: العاصمة للدم، والمال، والذرية في هذه الدار، ومنجيَّة من عذاب القبر، وعذاب النار.

وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلاَّ به، والحبل الذي لا يصل إلى الله: من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة: الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس: إلى شقيٍّ وسعيدٍ، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر عن دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي: العمود الحامل للفرض والسنة. . .

[البُعد الذي غاب] :

وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الربِّ جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره: بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك: من التوكل، والإنابة، والرغبة، والرهبة. فلا يُحَبُّ سواه. . . ولا يُخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يُتوكل إلاَّ عليه، ولا يُرغب إلاَّ إليه، ولا يُرهب إلاَّ منه، ولا يُحلف إلاَّ باسمه، ولا يُنذر إلاَّ له، ولا يُتاب إلاَّ إليه، ولا يُطاع إلاَّ أمره، ولا يُتحسب إلاَّ به، ولا يُستغاث إلاَّ به، ولا يُلتجأ إلاَّ إليه، ولا يُسجد إلاَّ له، ولا يذبح إلاَّ له وباسمه.

ويجتمع ذلك في حرف واحد، هو: أن لا يُعبد إلاَّ إياه بجميع أنواع العبادة».

هذه مقارنة مجملة لمعنى لفظ الجلالة: «الله» عقدناها بين منهج أهل السنة والجماعة ومفهوم الأشاعرة لهذه الكلمة، وفي محاورها رأينا الحق من كل الوجوه في منهج أهل السنة والجماعة، فعلى الراغبين في معرفة صفات الله والنجاة بأنفسهم أن يتمسكوا بهذا المنهج: تعلماً، وتعبداً، وتعليماً ثم دعوة. وذلكم لقوله تعالى: **﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاقٍ فسيكفيكهم اللَّه وهو السميع العليم﴾**.

الأصل الثاني: عند قول المؤلف ص٥٤: «. . . الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة» هذه الصفات الأربع ومعهن ثلاث أخريات هن: «السمع، والبصر،

والكلام» فالمجمـوع سبع صفات لله عز وجل عندهـم وهذا القدر هو الذي أقرَّ به الأشاعرة من صفات الله كأصل لهم اشتهروا به بين المتكلمين.

وقد دخل إليـهم هذا الانحراف من جهـة حصرهم صفـات الله تعالى في هذه السبع، وهم أرادوا بذلك التوفيق بين أصول المعتزلة، ومنهج أهل السنة.

ومصـدر التلقي عندهم لإثبـات الصفـات الأربع التي أوردها المؤلف هنا هو: «العقل وحده» اعتماداً وانطلاقاً، وموافقة منهم: على أصول المعتزلة.

ومصدر التلقي عندهم للثلاث صـفات اللاتي لم يذكرهـن المؤلف هو: السمع أو النقل. ذهاباً منهم إلى موافـقة أصول أهل السنة والجماعـة، ثم بعد ذلك أنكر الأشاعـرة كل صـفات الله تعالى الثابتـة بنصوص الكتاب والسنـة: غـير السبـع المذكورات خاصة صـفـات المعاني لله تعالى الخبرية: الذاتية والفـعلية فقد سلطوا عليهـا معـاول التأويل، والتـحريف، والتعطيل وانـتهى بهم الأمر في النـهاية إلى إنكارها، سـواءاً وردت في الكتاب والسنة مـعاً أو في أحـدهما. وفي الواقـع فإن أصلهم هذا من بين أخطر مواضع انحرافهم عن منهج أهل السنة والجماعة.

وإلى سبب تناقـضهم في أصلهم هذا أشار شـيخ الإسلام ابن تيمـية في «درء تعارض العـقل والنقل» حيث قال: «وأصل مـا أوقعهم في نفي الصـفات... هو طريقة حدوث الأعراض، وتركـيب الأجسام: وعنها لزمهم ما خـالفوا به الكتاب، والسنة، والإجمـاع في هذا المقام، مع مـخالفـتهم للمعـقولات الصـريحة التي لا تحتمل النقض، فناقضوا العقل والسمع من هذا الوجه».

ونحن منعاً للتكرار، ووضوح تناقض الأشاعرة في أصولهم التي عرضنا بعضاً منهـا هنا والبعض الآخـر من أصولهم المنحـرفة قـد سجلناه، وناقـشناهم فيـه في «المنهج القويم» وعلى وجه الخصوص كشفنا هناك: تورطهم في ردِّ «أخبار الآحاد» من السنة النبوية، ولتـوفر المراجع التي تناقشـهم: نكتفي بهذا القدر من الـوقفات

معهم هنا على الأقل على أمل لقاءٍ آخر معهم يقدره الله تعالى فضلاً منه: ونتمكن فيه من إلقاء المزيد من أضواء البيانية على أصولهم المنحرفة: نصحاً وإعلاماً للأجيال القادمة والقائمة والمقبلة إن شاء الله.

وعلى سبيل المثال سجلنا ملاحظتنا على أصول الأشاعرة في هذه المقدمة في ثلاث وقفات. الأولى: بينت لنا خطورة الخلط في مصادر التلقي مع بيان مدى الفساد الحاصل بسبب الاعتماد على العقل في مجال الأسماء والصفات.

والثانية: حدثتنا عن العقل من منظور أهل السنة والجماعة: عن قيمته، ودوره، ومكانته والمساحة المهيَّأ له للعمل فيها.

والثالثة: حدثتنا عن أصلين للأشاعرة كانا موضع تطبيقات: لَبيان تناقض من خرج عن منهج أهل السنة والجماعة والحمد لله رب العالمين.

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك».

وكتبه أبو عبد الله إبراهيم سعيداي

يوم الأحد ١٨ صفر ١٤١٦ هـ - ١٦/ ٧/ ١٩٩٥م

بالقاهرة: حرسها الله من كل مكروهٍ وسوءٍ

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله . . نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا اللَّه الذي تساءلون به والأرحام إن اللَّه كان عليكم رقيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع اللَّه ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

* * *

بين يدي الكتاب

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد ...

أخي المسلم... أختي المسلمة ...

هذه صفحات من تراث سلفنا الصالح، تدور حول موضوعين من مباحث الفقه الإسلامي، وهما موضوع الأذان، والتشهد.

وقد تناول المصنف الموضوعين بطريقة مستفيضة، فدرس كلا من الموضوعين من الناحية التشريعية، ومن الناحية الحكمية.

فتحدث عن بدء تشريع الأذان، والأحاديث التي جاءت بذلك، ثم أورد صيغ الأذان الشرعية، وتحدث عنها، وكل ذلك في إطار الناحية التشريعية.

ثم حلق بعد ذلك في آفاق الناحية الحكمية فتحدث عن الأسرار، والبدائع في كلمات الأذان كلمة كلمة.

وبعد ذلك تطرق للحديث عن الأحاديث التي جاءت في شأن التشهد واختلاف صيغها، وتكلم عن كيفية التشهد، وأفضل صيغه، كل ذلك من خلال الأحاديث النبوية.

ثم أفاض بعد ذلك عن الحكم الربانيةالأسرار التي وردت في كلمات التشهد كلمة كلمة.

والكتاب على صغر حجمه يُعد جديداً فريداً في بابه، وقد رتبه المصنف على أصلين جعل كل أصل من فصلين، الأول فيما يحتاج إليه من الأحاديث الواردة، والثاني: في بعض الأسرار المشتملة على الأذان، والتشهد.

والمؤلف في كتابه يوثق مادته العلمية، ويتكلم على الأسانيد، ويعزو إلى كتب السنن والمعاجم، ويكثر النقل عن النووي في كتابه المجموع، وليس هذا بغريب

حيث يعد «المجموع» من عمدة مراجع الشافعية، والمصنف بدوره منهم.

وبعد...

فهذا كتاب جديد يُطبع للمرة الأولى، والحمد لله على توفيقه وكرمه.

وقد حاولت خدمة الكتاب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فمن وجد خيراً فليدع لي، وإن كانت الأخرى فليستغفر لي، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبو مريم/ مجدي فتحي السيد إبراهيم

طنطا ـ مصر

ترجمة المصنف

(١) نسبه ونشأته العلمية :

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، أبو الحسن، برهان الدين، البقاعي، الشافعي.

وُلد في سنة تسع وثمانمائة هجرية، في البقاع من أعمال سوريا، وذلك في قرية خرجة روحا من البقاع، نشأ بها، ولم يتحول عنها إلى دمشق إلا بعد أن حدث الحادث التالي، الذي يقصه البقاعي، فيقول:-

في ليلة الأحد تاسع شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .أوقع الناس في قريتنا خربة روحا من البقاع يقال لهم: بنو مزاحم بأقاربي بني حسن من القرية المذكورة، فقتلوا تسعة أنفس منهم: أبي، عمر بن الحسن الرباط بن علي بن أبي بكر، وأخواه: محمد بن سويد وعلي أخوهما لأبيهما، وضربت أنا بالسيف ثلاث ضربات احداها في رأسي فجرحتني، وكنت إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة، فخرجنا من القرية المذكورة، واستمرينا نتنقل في قرى وادي التيم، والعرقوب وغيرهما إلى أن أراد الله تعالى بإقبال السعادتين الدنيوية والأخروية، فنقلني جدي لأبي علي بن محمد السليمى إلى دمشق فجودت القرآن، وجددت حفظه، وأفردت القراءات، وجمعتها على بعض المشايخ، ثم على الشمس بن الجزري لما قدم إلى دمشق سنة سبع وعشرين، واشتغلت بالنحو والفقه وغيرهما من العلوم، وكان ما أراد الله تعالى من التنقل في البلاد، والفوز بالغزو والحج، أدام الله نعمه آمنين.

وهكذا تحول إلى دمشق، ثم فارقها، ودخل بيت المقدس، ثم القاهرة، ثم رجع إلى دمشق.

(٢) شيوخه الذين تلقى عنهم:

أخذ المصنف في رحلة طلبه للعلم الشريف عن أساطين عصره، كابن ناصر الدين، وابن حجر، وقرأ على التاج بن بهادر في الفقه والنحو، وعلى الجزرى في القراءات جميعًا للعشرة.

وأخذ عن التقي الحصني، والتاج الغرابيلي، والعماد بن شرف، والشرف السبكي، والعلاء القلقشندي، والقاياني، وأبي الفضل المغربي.

(٣) مصنفاته المطبوعة والمخطوطة:

صنف المصنف العديد من المؤلفات، وقد طبع بعضها، ولا زال البعض الآخر مخطوطًا، فمن كتبه المطبوعة:

١- «نظم الدر في تناسب الآيات والسور» طبع في سبع مجلدات.

٢- «مصرع التصوف».

٣- «سر الروح» اختصر به كتاب «الروح» لابن قيم الجوزية.

٤- «تنبيه الغبي بتكفير ابن الفارض وابن عربي».

ومن كتبه المخطوطة:

١- «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران» أربع مجلدات.

٢- «أسواق العشاق» اختصر به مصارع العشاق.

٣- «الباحة في علمي الحساب والمساحة».

٤- «أخبار الجلاد في فتح البلاد».

٥- «بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة».

٦- «القول المفيد في أصول التجويد».

٧- «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور».

٨- «جواهر البحار في نظم سيرة المختار».
٩- «مختصر في السيرة النبوية والثلاثة الخلفاء».
١٠- «إشعار الواعي بأشعار البقاعي» ديوان شعر.
١١- «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل».
١٢- «القول المألوف في الرد على منكر المعروف».
١٣- «أحسن الكلام المنتقى من ذم الكلام للعمروي».
١٤- «أسد البقاع الناهسة في معتدى المقادسة».
١٥- «الاطلاع على حجة الوداع».
١٦- «الايذان بفتح أسرار التشهد والأذان» وهو الكتاب الذي بين أيدينا، يطبع للمرة الأولى، والحمد لله على توفيقه.
١٧- «الإعلام بشق الهجرة إلى الشام» يسرَّ الله لنا تحقيقه.
١٨- «بياع الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع».
١٩- «خير الزاد المنتقى من كتاب الاعتقاد للبيهقي».
٢٠- «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الإتحاد في رد الفصوص وأمثالها».
٢١- «السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع».
٢٢- «الفتح القدسي في آية الكرسي».
٢٣- «كفاية القارىء».
٢٤- «النكت الوفية على الألفية للعراقي».
٢٥- «مالا يستغنى عنه الإنسان من مُلح اللسان».
٢٦- «إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر».
٢٧- «رفع اللثام عن عرائس النظام في العروض والقوافي».
وغير ذلك من المصنفات النافعة.

(٤) شعره:

كان المؤلف كثير النظم، جيد النثر في تراجمه، ومراسلاته، ومصنفاته، فمن شعره الذي يرثي فيه نفسه حال حياته:

نعم إنني عما قريب لميت ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

كأنك بي أنعي عليك وعندها ... ترى خبراً صمت له الأذنان

فلا حسد يبقى لديك ولا قلى ... فينطق في مدحي بأي معان

فكم ظالم نالته مني غضاضة ... لنصرة مظلوم ضعيف جنان

وكم خطة سامت ذووها معرة ... أعيدت بضرب من يدي وطعان

(٥) وفاته:

وظل المؤلف ـ رحمه الله ـ يعاني بسبب تصنيفه في الرد على الصوفية، يكابد الشدائد، ويناهد العظائم قبل رحلته إلى مصر، وبعد رحلته إلى دمشق، حتى توفاه الله تعالى. ففي ليلة السبت ثامن عشر رجب سنة ٨٨٥هـ صعدت روحه إلى بارئها، ودفن خارج دمشق.

(٦) ثناء أصحاب التراجم عليه:

● قال الشوكاني في البدر الطالع (١/ ١٩) ما نصه:

«الإمام الكبير، برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ومن أوعية العلم المفرطين في الذكاء، لا يخرج عن الكتاب والسنة».

● وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (٧/ ٣٤٠) ما نصه:

«إمامٌ، مُحدِّثٌ، مفسرٌ، علامةٌ، مؤرخٌ، كان من أعاجيب الدهر وحسناته».

● وقال كحالة في معجم المؤلفين (١/ ٧١) ما نصه:

«البقاعي، الشافعي، عالمٌ، أديبٌ، مفسرٌ، مُحدِّثٌ، مؤرخٌ».

ولمزيد من التفصيل، والإيضاح يمكنك الرجوع إلى المراجع، والمصادر التالية:

١- الضوء اللامع (١/ ١٠١) للسخاوي.

٢- البدر الطالع (١/ ١٩) للشوكاني.

٣- شذرات الذهب (٧/ ٣٣٩) لابن العماد.

٤- نظم العقيان (٤) للسيوطي.

٥- كشف الظنون (ص/ ٨١، ٨٦، ١٠٤، ١٠٥، ١١٧، ١٤٠، ١٥٦، ١٧٠، ٢١٦، ٢٦٠، ٢٦٧، ٣٥٥، ٣٨٢، ٥١٣، ٥٩٦، ٦٠٢، ٦١٢، ٧٥٩، ٨٢٨، ٩١٠، ٩١١، ١٠١٨، ١٠٩٠ وغيرها). لحاجي خليفة.

٦- ايضاح المكنون (١/ ١٠٢، ١٥٢، ٤٧٥، ٦٧٨) للبغدادي.

٧- الأعلام (١/ ٥٦) للزركلي.

٨- معجم المؤلفين (١/ ٧١) لكحالة.

والحمد لله رب العالمين.

وصف مخطوط الكتاب وتوثيقه

عثرت على نسخه فريده لهذا المخطوط الطيب في دار الكتب المصرية، الحاوية لذخائر التراث السلفي.

ويقع هذا المخطوط في الدار تحت فن «مجاميع مصطفى فاضل»، ويأخذ رقم (١٠٢)، ومنه نسخة مصورة على ميكروفيلم برقم (٥١٧٣٤) عدد أوراقه (٩) ورقات أي (١٨) صفحة.

في كل صفحة حوالى (١٥) سطراً تقريبًا، في السطر الواحد متوسط (٩) كلمات، والخط جيد مقروء.

كُتب على الصفحة الأولى ما نصه:

«كتاب الايذان بفتح أسرار التشهد والأذان».

للشيخ الإمام العالم العلامة أبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، الشافعي أيد الله به أزر الدين، وقمع بحياته الملحدين.

وكُتب على الصفحة الأخيرة ما نصه:

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الأربعاء رابع عشرى رمضان المعظم من شهور سنة تسع وسبعين وثمانمائة، والحمد لله وحده.

١- ولقد نسبه له البغدادي في هدية العارفين (٥/ ٢٢).

٢- ونسبه له حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ١٥٢) فقال:

«الايذان بفتح أسرار التشهد والأذان ـ للشيخ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر بن حسن البقاعي الشافعي المتوفى سنة ٨٨٥، أوله: الحمد لله الملك الديان إلخ.

وهذا يدل لنا على صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه. والحمد لله أولاً وآخراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الديان الذي جعل اعلى الايمان الصدح
بكلمات الاذان ونهاية العرفان تشهد الصلاة ذات الاركان
واشهد ان لا اله الا الله العظيم الشان واشهد ان محمدا سيدنا نبي
عدنان عبده ورسوله المبعوث عامة الى الانس والجان صلى الله
عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته واحبابه والتابعين
لهم باحسان وسلم تسليما يتطاول على مدى الازمان ما ضاقت
النيران وانفسحت مواطن الجنان فهذا كتاب سميته
الايذان بفتح اسرار التشهد والاذان ورتبته على اصلين
ضمنت كلا منهما فصلين الاول فيما يحتاج اليه من الاحاديث
الواردة فيهما الثاني في بعض الاسرار التي دارت عليها
الا... في الاحاديث في الاذان روى
الشيخان عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال كان
المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة
ليس ينادي بها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا

١ – الصفحة الأولى من الورقة الأولى من المخطوط

ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل بوق اليهود
فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة قال الشيخ محيي الدين النووي
هذا النداء دعاء الى الصلاة غير الاذان كان شرع قبل الاذان ولابي
داود باسناد قال النووي صحيح قال وروى الترمذي بعضه
بسند ابي داود وقال حسن صحيح واسحق ابن راهويه عن عبد الله بن
زيد بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه قال لما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة طاف بي
وانا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس
فقال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير من
ذلك فقلت بلى فقال وفي رواية اسحق قال اني رايت رجلا نزل
من السماء فقام على جذم حائط فاستقبل القبلة فقال تقول الله اكبر الله
اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على
الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله

٢ - الصفحة الثانية من الورقة الأولى من المخطوط

ما للسائل كما سمعني في السلام تنبيهاً لنفسه على انه وان كان الآن في
الحضرة فهو في غاية الخطر و انه مقصر في الخدمة بما له من النقص وما
للمعبود من الكمال الذي لا يمكن العبد بلوغ كنهه ولا الوقوف على حقيقته فعليه
ان يستشعر اعظم الخوف و الوجل فقال اي اقع
الستر لما كان مني من عمل غير لايق بجنابك الاقدس ومقامك الاطهر
الاعظم الي آخر ما يريد من الدعا الذي ما تورم الاستعاذة من الدجال
وعذاب القبر وغيره والاستعاذة وان كان المتبادر ان المناسب تقديمها
لانها من درء المفاسد الذي هو مقدم على جلب المصالح لكن دفع ذلك
ان التخلي عن الدنايا انما يكون في اول السير واما بعد الوصول الى
الحضرة العلية التي لا يوصل اليها الا بعد التخلي عن جميع القواطع فاللايق
اذ ذاك طلب التحلي بالفضايل والتزين بالرغايب و الفواضل والتعوذ
في آخر ذلك انما هو للتنبيه على ان الواصل ما دام في دار الفتنة فالواجب
عليه دوام الخضوع و الخشية والخشوع وتخصيص الدجال لانه اعدا الاعدا
فيكون حال المتعوذ قايلاً اني كما اني مصاف لاولي الاوليا من اهل
الحضرة الشما فاني مباعد ومجانب ومجاف لاعدى الاعدا فيفيد ذلك
مجافاه

٣ – الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط

مجافاة كل من يخوض من الاشقيا، اعاذنا الله من شر القضا وجعلنا
من البررة الاتقيا وحشرنا في زمرة الاوليا، انه البر الرحيم التواب الكريم
والختام بالسلام لله لا إله على الكون في حضرات الكرام والرجوع منها نيل
المراد واقصى المرام   قال مصنفه
وكان فراغي من هذا المصنف النفيس في ليلة الجمعة سادس عشري
شهر ربيع الاول من شهور سنة ثلث وسبعين وثمانمائة بمنزلي في
رحبة باب العيد من القاهرة المعزية جبرها الله تعالى وكان عملي له كله في
ثلثة ايام سوى البعض [illegible] من الاشتغال بما لا بد منه من الشواغل
من غيره والله المسئول في ان ينفع به آمين الحمد لله رب العالمين وصلى الله

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم
الاربعاء رابع عشري رمضان المعظم
من شهور سنة تسع وسبعين
وثمانمائة والحمد لله
وصلى [illegible]
م

٤ – الصفحة الأخيرة من المخطوط

عملي في الكتاب

بعد توفيق الله تعالى، وفضله في الوصول إلى هذا المخطوط الطيب، تم عمل التالي:

١- تم نسخ الكتاب من مخطوطه، وتأكدت من سلامة المتن بالرجوع إلى كتب السنن والآثار قدر الاستطاعة.

٢- قمت بضبط الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب بتشكيلها تشكيلاً كاملاً، وذلك لأهمية الضبط في زماننا.

٣- قمت بتخريج ما في الكتاب من أحاديث نبوية، مع ذكر أقوال أهل الجرح والتعديل، وذكر درجة الحديث كلما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

٤- التعليق على بعض الكلمات الغريبة، أو الغامضة في معناها، حتى أُيسِّر مهمة القارىء في الوصول إلى المضمون العلمي المراد.

٥- رقمت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب ترقيمًا تسلسليًا، مع إعطاء الهوامش أرقامًا خاصة بكل صفحة على حدة.

٦- خرَّجت ما في الكتاب من آثار عن سلفنا الصالح، مع الرجوع إلى المراجع والمصادر التي شاركت المصنف في إيراد أو إخراج نفس الأثر، والحكم عليه كلما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

٧- قمت بإعداد مقدمة للكتاب عن المخطوط ومؤلفه.

٨- أعددت الفهارس العلمية التي تخدم الكتاب، كفهرس الأحاديث، والآثار، والأعلام، والبلدان.

وأخيراً ...

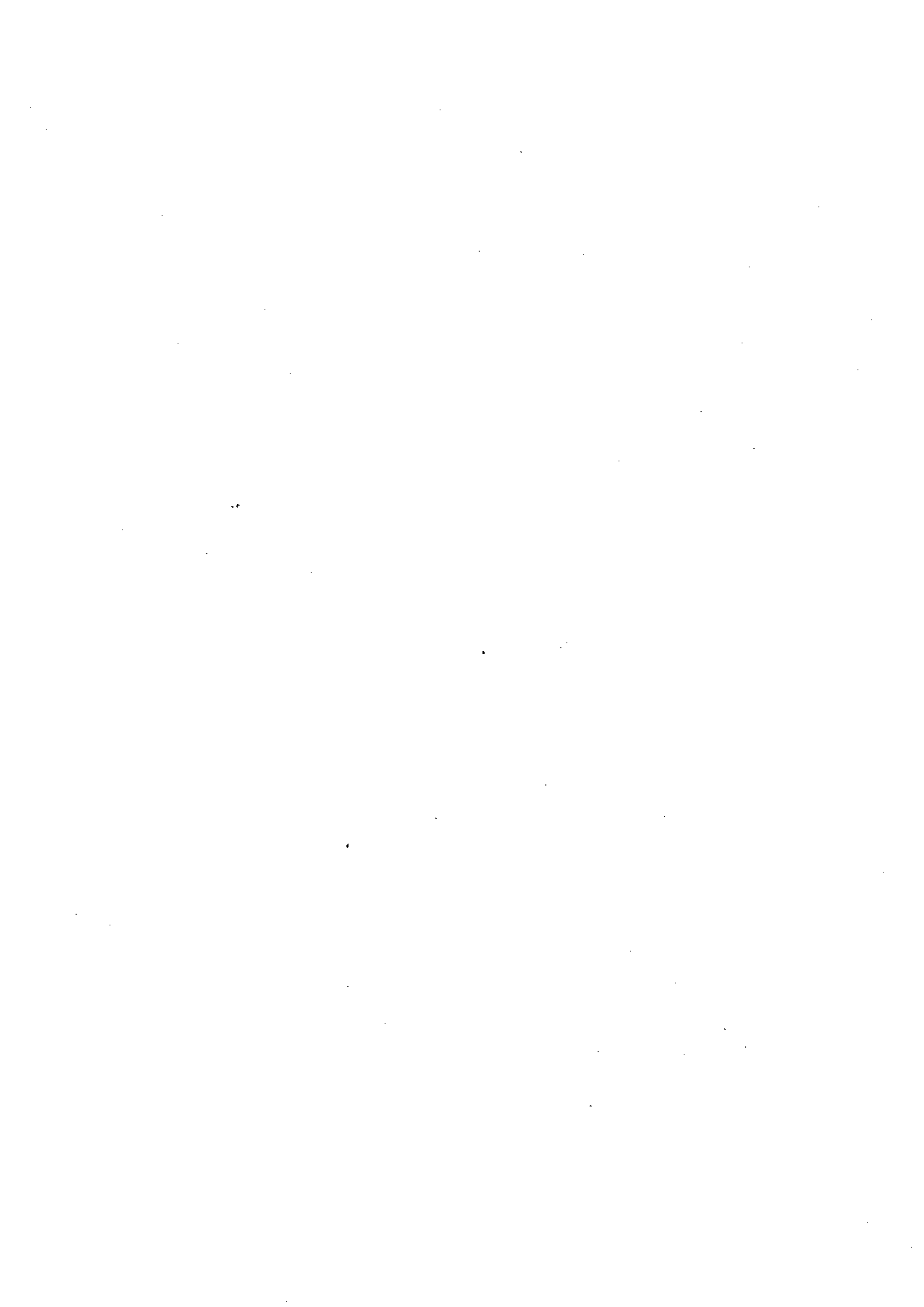
فـمع أحـاديث الرسـول ﷺ، وآثار السلف الصـالح عن الأذان والتـشـهـد أترككم، ومع أملٍ متجددٍ مع تراث سلفنا الصالح، أستودعكم الله تعالى.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبو مريم/ مجدي فتحي السيد إبراهيم

طنطا ـ مصر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الملك الديان، الذي جعل أعلى الإيمان الصدح بكلمات الأذان، ونهاية العرفان تَشَهُّدُ الصلاة ذات الأركان، وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الشأن، وأشهد أن محمداً سيد بني عدنان، عبده ورسوله المبعوث عامة إلى الإنس والجان. صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه، وذريته، وأحبابه، والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليمًا يتطاول على مدى الأزمان، ما ضاقت النيران، وانفسحت مواطن الجنان.

فهذا كتاب سميته «الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان».

ورتبته على أصلين ضمنت كلاً منهما فصلين: الأول فيما يحتاج إليه من الأحاديث الواردة فيها، والثاني: في بعض الأسرار التي دارت عليهما.

* * *

الأصل الأول في الأحاديث

الفصل الأول في الأذان

١- روى الشيخان عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال:

كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحيّنون[1] الصلاة، ليس يُنادى بها، فتكلموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بُوقًا مثل بوق اليهود.

فقال عمر: أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «يَا بلالُ قُمْ فنادِ بالصَّلاةِ»[2].

قال الشيخ محيي الدين النووي: هذا النداء دُعاء إلى الصلاة غير الأذان، كان شُرع قبل الأذان[3].

٢- ولأبي داود بإسنادٍ قال النووي: صحيح، قال: وروى الترمذي بعضه بسند أبي داود، وقال: حسن صحيح، وإسحاق بن راهويه عن عبد الله بن زيد

---

(١) يتحينون: أي يقدِّرون حينها ليأتوا إليها، والحين: الوقت والزمان.

(٢) حديث صحيح. أخرجه البخاري (١/ ١٥٧)، ومسلم (٣٧٧)، وأحمد (٢/ ١٤٨)، والترمذي (١٣٩)، (١٩٠)، والنسائي (٢/ ٣)، وأبو عوانة (١/ ٣٢٦)، والبيهقي (١/ ٣٩٢، ٤٠٨) في سننه الكبرى.

(٣) انظر: شرح النووي (٤/ ٧٦) على مسلم، وكذا فتح الباري (٢/ ٨١) لابن حجر.

* قال النووي: في هذا الحديث فوائد منها: منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في اصابته الحق.

وفيه: التشاور في الأمور لا سيما المهمة، وذلك مستحب في حق الأمة باجماع العلماء.

وفيه: أنه ينبغي للمتشاورين أن يقول كل منهم ما عنده، ثم صاحب الأمر يفعل ما ظهرت له مصلحته.

ابن عبد ربه الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمَّا أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة[1]، طاف بي[2]، وأنا نائمٌ رجل يحمل ناقوسًا في يده، فقلت: يا عبد الله، أتبيع الناقوس؟

قال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أولا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت: بلى. فقال.

٣- وفي رواية إسحاق: «إني رأيت رجلاً نزل من السماء، فقام على جِذْمِ حائطٍ[3]، فاستقبل، فقال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

ثم استأخر عني غير بعيدٍ[4]، ثم قال: تقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال:

«إِنَّهَا لرؤيا حَقٌّ[5] إِنْ شَاءَ اللهُ، قُم مَعَ بَلالٍ فَألْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوتًا مِنْكَ»[6].

---

(١) أي: لأدائها جماعة.

(٢) أي: مَرَّ بي، والطيف: هو الخيال الذي يلم بالنائم.

(٣) جذم الشجرة: أصلها، أراد بقية الحائط، أو قطعة من الحائط.

(٤) أي: الرجل المرئي، وهو يدل على أن المستحب أن تكون الإقامة في غير موقف الأذان.

(٥) أي: ثابتة صادقة مطابقة للوحي، أو موافقة للاجتهاد.

(٦) فيه دليلٌ على أن كل من كان أرفع صوتًا، كان أولى بالأذان، لأن الأذان إعلام، وكل=

فقمت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، فسمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو في بيته، فخرج يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي أري، فقال رسول الله ﷺ: «فَلِلهِ الحَمْدُ»[1].

٤- وقال ابن هشام في تهذيب السيرة:

وذكر ابن جريج قال: قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول:

«ائتمر النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - بالناقوس للاجتماع بالصلاة، فبينا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يريد أن يشترى خشبتين للناقوس، إذ رأى عمر في المنام أن لا تجعلوا الناقوس، بل أذِّنوا بالصلاة، فذهب عمر إلى النبي ﷺ ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك، فما راعَ[2] عمر إلا بلال - رضي الله عنه - يؤذن، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: «قد سبقك الوحي بذلك»[3].

٥- ولمسلمٍ، وأبي داود، والنسائي، والترمذي، وقال: صحيح عن أبي محذورة سمرة بن مِعْير، ويقال: ابن عمير - رضي الله عنه - قال:

= من كان الإعلام بصوته أوقع كان به أحق وأجدر.

(١) حديث صحيح. أخرجه أحمد (٤/ ٤٣)، وأبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، وابن ماجه (٧٠٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٧٨٧)، وابن خزيمة (٣٧٠)، وابن حبان (٢٨٧)، وابن الجارود (١٥٨) في المنتقى، والبيهقي (١/ ٣٩١) في سننه الكبرى.

(٢) راع: فزع، ولكنها في هذا السياق بمعنى شَعَرَ.

(٣) إسناده مرسلٌ: وهو من أقسام الضعيف. أخرجه عبد الرزاق (١٧٧٥) في مصنفه، عن ابن جريج به، وأبو داود (ص/ ٨٠) في المراسيل عن أحمد بن إبراهيم عن حجاج عن ابن جريج به، وهو مرسلٌ ولم يصرح ابن جريج بالسماع، وهو مدلسٌ وأورده ابن كثير (٣/ ٢٣٣) في البداية نقلاً عن ابن هشام به، ثم قال: وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد كما صرح به بعضهم، والله تعالى أعلم.

ألقي على رسول الله ﷺ التأذين بنفسه، فقال: «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر» «ترفع بها صوتك، ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله تخفض بها صوتك، ثم ترفع صوتك بالشهادة»[1].

٦- وفي رواية:- «ثم قال: ارجع فامدد من صوتك، قل أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح.

فإن كان صلاة الصبح قلت: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله»[2].

٧- وروى ابن خزيمة في صحيحه، والدارقطني، والبيهقي، وقال: إسناده صحيح من حديث أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال:

«من السُّنه إذا قال المؤذن في أذان الفجر حي على الفلاح، قال: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم[3]» وصححه ابن السكن.

---

(١) حديث صحيح. أخرجه مسلم (٣٧٩)، وأبو داود (٥٠٠)، والترمذي (١٩٢)، والنسائي (٢/ ١٣-١٤)، (١/ ١٠٣)، وابن ماجه (٧٠٨)، (٧٠٩)، والشافعي (ص/ ٣١) في مسنده، وأحمد (٣/ ٤٠٨، ٤٠٩)، والدارقطني (١/ ٢٣٤) في سننه، والبغوي (٤٠٧) في شرح السنة، وابن الجارود (١٦٢) في المنتقى، والبيهقي (١/ ٣٩٣) في سننه الكبرى.

(٢) انظر السابق.

(٣) أثرٌ صحيحٌ. أخرجه ابن خزيمة (٣٨٦)، والدارقطني (١/ ٢٤٣) في سننه، والبيهقي (١/ ٤٢٣) في سننه الكبرى كلهم من طريق أبي أسامة عن ابن عوف عن محمد عن أنس به.

وقال البيهقي: إسناده صحيح.

٨- وللنسائي، وابن خزيمة وصححه ابن حزم عن أبي محذورة قال:

كنت غلامًا صيتًا[١] فـأذنت بين يدي رسول الله ﷺ الفـجر يوم حُنين، فلمـا انتهيت إلى حي على الفلاح، قال: «ألحق فيها الصلاة خير من النوم»[٢].

٩- ولأبي داود، والدارقطني، وأبي الشيخ في كتاب الأذان عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: حدثنا أصحابنا أن رسول الله ﷺ قال:-

«لَقَدْ أَعْجَبَنِي أَنْ تَكُونَ صَلاَةُ الْمسلمـينَ، أَوْ الْمُؤْمنينَ وَاحِدَةً، حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبُثَّ رِجَالاً[٣] فِي الدُّورِ[٤]، يُنَادُونَ الـنَّاسَ بِحِينِ الـصَّلاَة، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رِجَالاً يَقُومُونَ عَلَى الآطَامِ[٥] يُنَادُونَ الْمُسْلِمـينَ بِحِينِ الـصَّلاَة، حَتَّى نَقَسُوا[٦]، أَوْكَادُوا أَنْ يَنْقُسُوا».

قال: فجـاء رجلٌ من الأنصار، فقال: يا رسـول الله، إني لما رجعت لما رأيت من اهتمامك، رأيت رجلاً كأن عليه ثوبين أخضرين، فقام على المسجد، فأذن، ثم قعد قـعدة، ثم قام فقال مـثلها، إلا أنه يقول: قد قـامت الصلاة، ولولا أن يقول الناس[٧]، لقلت إني كنت يقظانًا غير نائم.

---

(١) تصحف في كثير من المراجع إلى «صبيًا» والصيت: الصوت العالي الشديد.

(٢) إسناده صحيح. أخرجه الدارقطني (١/ ٢٣٧) في سننه، والطبراني (٦٧٣٩) في الكبير، وأبو نعيم (٨/ ٣١٠) في الحلية من طرق عن أبي بكر بن عياش عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي محذورة به.

١- وأخرجه بنحوه عبد الرزاق (١٨٢١) في مصنفه، والطبراني (٦٧٣٨) في الكبير من طريق الثوري عن أبي جعفر عن أبي سلمان عن أبي محذورة به.

(٣) أي أنشرهم، والمعنى: أن أبعث رجالاً.

(٤) جمع دار، أى في المحلات.

(٥) جمع الأطم بالضم، وهو البناء المرتفع، وآطام المدينة حصون كانت لأهلها.

(٦) أي: ضربوا بالناقوس.

(٧) أي: لولا أخاف أن يقول الناس إنه كاذب.

فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أَرَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَمُرْ بِلالاً فَلْيُؤَذِّنْ»[1].

قال: فقام عمر فقال: أما إني قد رأيت مثل الذي رأى، ولكن لما سبقت استحييت قال المنذري: إن أراد أصحاب النبي ﷺ، وإلا فهو مرسل.

قال شيخنا حافظ عصره، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي ـ رحمه الله ـ في رواية أبي بكر بن أبي شيبة، وابن خزيمة، والطحاوي، والبيهقي: حدثنا أصحاب محمدٍ ﷺ، فتعين الاحتمال الأول، ولهذا صححها ابن حزم، وابن دقيق العيد.

١٠- وللشيخين من حديث أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ أن بلالاً ـ رضي الله عنه ـ أُمِرَ أَنْ يَشفَعَ[2] الأذانَ، ويُوترَ الإقامةَ، إلا الإقامة[3]»[4].

١١- ورواه النسائي، وابن حبان، والحاكم بلفظ: إن رسول الله ﷺ أمر بلالاً[5].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٥٠٦)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٠٤) في مصنفه، وابن خزيمة (٣٨٣)، (٣٨٤)، والبيهقي (٧/ ١٨) في دلائل النبوة، وفي سننه الكبرى (١/ ٤٢٠).

(٢) أن يشفع: بفتح أوله وفتح الفاء، أي يأتي بألفاظه شفعًا.

(٣) المراد بالمنفي غير المراد بالمثبت، فالمراد بالمثبت جميع الألفاظ المشروعة عند القيام إلى الصلاة، والمراد بالمنفي خصوص قوله: «قد قامت الصلاة».

(٤) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٦٠٥)، ومسلم (٣٧٨)، وأبو داود (٥٠٨)، والترمذي (١٩٣)، والنسائي (٢/ ٣)، وابن ماجه (٧٢٩)، (٧٣٠)، وأحمد (٣/ ١٠٣، ١٨٩)، والبغوي (٤٠٥) في شرح السنة، وابن خزيمة (٣٦٦)، (٣٦٧)، وابن الجارود (١٦٠)، (١٦١) في المنتقي، والدارمي (١/ ٢٧٠-٢٧١) في سننه، والدارقطني (١/ ٢٤٠) في سننه، والبيهقي (١/ ٣٩٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٦) في سننه الكبرى، وابن حبان (١٦٧٣)، (١٦٧٤).

(٥) انظر السابق.

فصرح بالأمر[1]، وهو وترٌ بالنسبة إلى تكبير الأذان، فإنه في أوله أربع، ومن جهة أن يأتي بكل تكبيرتين في نفسٍ، فكأنما واحدة.

١٢- وروى أبو الشيخ في كتاب «الأذان» وسعيد بن منصور في السنن عن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - أنه قال: «من السنة: الأذان في المنارة، والإقامة في المسجد»[2].

١٣- وروى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ بِلاَلاً يُؤَذِّنَ بِلَيلٍ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا، حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ»[3].

١٤- وروى ابن خزيمة والبيهقي، وغيرهما عن عائشة - رضي الله عنها - وعن

---

(١) أي: أمره النبي ﷺ، لأن الأذان شريعة، والأمر المضاف إلى الشريعة في زمان رسول الله ﷺ لا يُضاف إلى غيره، انظر: شرح السنة (٢/ ٢٥٥) للبغوي.

(٢) أثرٌ صحيحٌ. أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٥٣) في مصنفه قال: حدثنا عبد الأعلى عن الجريري عن عبد الله بن شقيق، وقف به على ابن شقيق.
وسنده صحيح، الجريري، هو سعيد بن إياس، ثقة، اختلط لكن سماع عبد الأعلى عنه قبل اختلاطه، بل عبد الأعلى من أصحهم سماعًا منه، قبل أن يختلط بثمان سنين، كما في التهذيب (٤/ ٧).
وأخرجه البيهقي (١/ ٤٢٥) في سننه من طريق أبي الشيخ عن ابن أبي حاتم عن الأطرابلسي عن خالد بن عمرو عن سفيان عن الجريري عن ابن شقيق عن أبي برزة به.
قال البيهقي: هذا حديث منكر، لم يروه غيرخالد بن عمرو، وهو ضعيف منكر الحديث، قلت لكن الطريقة السابقة فيه متابعة من ابن أبي شيبة.
١- كنز العمال (٢٣١٨٣) وعزاه لأبي الشيخ في الأذان.

(٣) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٦٢٣)، (١/ ١٦٠)، (٣/ ٢٢٥)، ومسلم (١٠٩٢)، وأحمد (٢/ ٩، ٥٧، ٦٢، ٦٤، ٧٣)، والترمذي (٢٠٣)، والنسائي (٢/ ١٠)، وابن أبي شيبة (٣/ ٩، ١١) في مصنفه، وابن خزيمة (٤٠١)، (٤٠٣)، (٤٢٤)، وابن حبان (٣/ ٩٢)، وابن أبي شيبة (٣/ ٩، ١١) في مصنفه، والبغوي (٤٣٣) في شرح السنة، والبيهقي (١/ ٣٨٠، ٣٨٢) في سننه الكبرى.

غيرها أن النبي ﷺ قال:

«إنَّ ابنَ أُمِّ مكتُومٍ يُنَادَى بِلَيل فكُلُوا وَاشْرَبُوا حتَّى يُنَادِي بَلاَلٌ»[1].

فإن صحت هذه الرواية دل على أنه كانت بين بلالٍ، وابن أم مكتوم مناوبة في الأذان.

١٥- وللنسائي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ بَلالاً يُؤذِّنُ بِلَيل لِيُوقِظَ نَائِمكُمْ، ولِيَرْجِعَ قَائِمكُمْ[2]»[3].

* * *

(١) حديث صحيح. أخرجه ابن خزيمة (٤٠٦)، (٤٠٧)، وابن حبان (٥/ ١٩٧)، والطحاوي (١/ ١٣٨) من حديث عائشة، وأخرجه أحمد (٦/ ٤٣٣)، والنسائي (٢/ ١١)، وابن خزيمة (٤٠٤)، (٤٠٥)، من حديث أنيسة بنت خبيب.

(٢) القائم: المتهجد، وذلك لينام لحظة ليصبح نشيطًا، أو يتسحر إن أراد الصيام.

(٣) حديث صحيح. أخرجه النسائي (٢/ ١١)، (٤/ ١٤٨) من حديث ابن مسعود، ومن حديث سلمان، أخرجه الطبراني في الكبير، وفيه سهل بن زياد، وثقه أبو حاتم، وفيه كلامٌ لا يضر، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٣-١٥٤).

الفصل الثاني في أحاديث التشهد

١٦- روى مسلمٌ، والشافعي، والترمذي، والدارقطني، وابن ماجه، والطبراني عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول:

«التَّحِيَّاتُ، الْمُبَارَكَاتُ، والصَّلَوَاتُ[1]، والطَّيِّبَاتُ لله[2]، سَلاَمٌ عَلَيْكَ[3] أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، سَلاَمٌ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ[4]، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ»[5].

وفي رواية مسلم، وإحدى روايتي الدارقطني تعريف السلام[6].

وفي صحيح ابن حبان تعريف الأول[7]، وتنكير الثاني وعكسه الطبراني[8].

---

(١) الصلوات: قيل المراد الخمس، أو ما هو أعم من ذلك من الفرائض، وقيل المراد العبادات كلها، وقيل: الدعوات، وقيل: المراد الرحمة، وقيل: التحيات العبادات القولية، والصلوات العبادات الفعلية، والطيبات الصدقات المالية.

(٢) الطيبات: أي ما طاب من الكلام وحسن أن يثنى به على الله دون ما لا يليق بصفاته مما كان الملوك يحيون به.

وقيل: الطيبات: ذكر الله، وقيل: الأقوال الصالحة كالدعاء والثناء، وقيل: الأعمال الصالحة، وهو أعم.

(٣) قيل معناه: اسم السلام أي اسم الله عليك، فإنه من أسمائه تعالى، لأنه الذي يسلم العباد من الآفات.

(٤) الأشهر في تفسير الصالح أنه القائم بما يجب عليه من حقوق الله، وحقوق عباده.

(٥) **حديث صحيح**. أخرجه مسلم (٤٠٣)، وأبو داود (٩٧٤)، والترمذي (٢٩٠)، والنسائي (٢/ ٢٤٢-٢٤٣)، وابن ماجه (٩٠٠)، وأحمد (١/ ٢٩٢) والشافعي (ص/ ٤٢) في سننه والبغوي (٦٧٩) في شرح السنة، والبيهقي (٢/ ١٤٠، ٣٧١) في سننه.

(٦) أخرجه مسلم (٤٠٣)، والدارقطني (١/ ٣٥١).

(٧) أخرجه ابن حبان (١٩٥١)، وابن خزيمة (٧٠٥).

(٨) أخرجه الطبراني (١٠٩٩٦)، (١٠٩٩٧)، (١١٤٠٦) في الكبير.

١٧- وللشيخين، والترمذي، والنسائي،والطبراني، والبزار، وقال: إنه أصح حديث في التشـهد، وإنه روي من نيف وعشرين طريقًا عن عبد الله بـن مسعود - رضي الله عنه - أنه قـال: كنا إذا صلينا مع النبي ﷺ، قلنا: السلام عـلى الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان وفلان.

فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه، وقال:

«لاَ تَقُولُـوا الـسَّلاَمَ عَلَى اللهِ، فَـإِنَّ اللهَ هُـو السَّلاَمُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُـمْ فِي الـصَّلاَةِ فَلْيَقُلْ: الـتَّحِيَّاتُ للهِ، والصَّلَوَاتُ، وَالـطَّيِّبَاتُ، الـسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الـنَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الـسَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلـى عِبَادِ اللهِ الـصَّالِحِـينَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِـحٍ فِي الـسَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَـدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لِيتخيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أعجبَهُ إِلَيهِ فَيَدْعُو[1]»[2].

١٨- قال شيـخنا: وقال الشافعي لما قـيل له: كيف صرت إلى اختـيار حديث ابن عباس - رضي الله عنه - في التشهد؟ لما رأيته واسعًا، وسمعته عنه صحيحًا، كان عندي أجمع، وأكثر لفظًا من غيره، فأخذت به غير معنفٍ لما يأخذ بغيره مما صح[3].

---

(١) أي: أحب الدعاء وأرضاه من الدين والدنيا والآخـرة، واستدل به على جواز الدعاء في الصلاة بما اختار المصلي من أمر الدنيا والآخرة.

(٢) حديث صحيح. أخرجـه البخـاري (١/ ٢١٢)، ومـسلم (٢٠٤)، وأبو داود (٩٦٨)، والترمذي (٢٨٩)، والنسائي (٢/ ٢٤٠)، وابن ماجه (٨٩٩)، وأحمد (١/ ٤٣١، ٤٦٤)، وعبـد الرزاق (٣٠٦١) في مـصنفـه، والبغـوي (٦٧٨) في شـرح السنة، وابن خـزيمة (٧٠٣)، والطبراني (١٠/ ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤) في الكبير، وأبو نعيم (٧/ ١٧٩) في الحلية.

(٣) قال العلامة البغوي في شرح السنة (٣/ ١٨٣) ما نصه:

قال أهل المعرفـة بالحديث: أصح حديثٍ روي عن رسول الله ﷺ في التشـهد حديث ابن مسعـود، واختاره أكثر أهل الـعلم من الصحابة والتابعين، فـمن بعدهم، وهو قول الثوري، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي. =

١٩- والمستحب للمتشهد أن يبسط أصابع يده اليسرى على فخذه اليسرى إلى جهة القبلة، ويجعلها قريبة من طرف الركبة بحيث تساوي رؤوسها الركبة، ويضم أصابعها على الأصح لتكون كلها متوجه إلى القبلة.

قال النووي: وقد نقل الشيخ أبو حامد في تعليقه اتفاق الأصحاب عليه وفي اليمنى ثلاثة أقوال أصحها يضعها على فخذه، على طرف الركبة اليمنى، ويقبض الأصابع كلها إلا المسبحة، وهذا هو المشهور، ودليله:

٢٠- ما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ:

«كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ اليُسْرى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُسْرى، وَوَضَعَ يَدَهُ اليُمنَى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلاثَةً وَخَمْسِينَ»[١] وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ.

٢١- وروى مسلمٌ أيضًا عن ابن الزبير ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ:

«كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي الصَّلاَةِ جَعَلَ قَدَمَهُ اليُسْرى بَيْنَ فَخذِه وَسَاقِه، وَفَرَشَ قَدَمَهُ اليُمْنَى، وَوَضع يَدَهُ اليُسْرىَ عَلَى رُكْبَتِهِ اليُسرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ اليُمنَى عَلَى فَخذِهِ اليُمْنَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِه»[٢].

= وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس للزيادة التي فيه، وهو قوله: «المباركات» ولموافقته القرآن، وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبة﴾ النور: ٦١.

وذهب مالك إلى تشهد عمر بن الخطاب علَّمَهُ الناس على المنبر: «التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات» والباقي سواء كما في رواية ابن مسعود.

(١) **حديث صحيح**. أخرجه مسلم (٥٨٠)، وأبو داود (٩٨٣)، والترمذي (٢٩٢)، وأحمد (٢/ ٦٥)، والنسائي (٣/ ٢٧)، وابن ماجه (٩١٣)، وعبد الرزاق (٣٢٣٩) في مصنفه، والبغوي (٣/ ١٧٤-١٧٥) في شرح السنة، والبيهقي (٢/ ١٣٢) في سننه الكبرى.

(٢) **حديث صحيح**. أخرجه مسلم (٥٧٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٨٥) في مصنفه، وأبو داود (٩٨٤)، والنسائي (٣/ ٣٩)، وابن حبان (٣/ ٢٠١).

٢٢- وفي رواية لمسلم أيضًا عن ابن عمر - رضي الله عنه - «كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا قَعَدَ يَدْعُو، وَضَعَ يَدَهُ الـيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الـيُمْنَى، وَيَدَهُ الـيُسْرَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ»[1].

على هذا القول وجهان: أحدهما: وهو الأصح يضعها بجنب المسبحة على حرف راحته، أسفل من المسبحة كأنه عاقد ثلاثة وخمسين لحديث ابن عمر - رضي الله عنه -.

والثاني: يضعها على حرف إصبعه الوسطى كأنه عاقد ثلاثة وعشرين لحديث ابن الزبير - رضي الله عنه - والقول الثاني قاله في الإملاء.

يقبض الخنصر والبنصر والوسطى، ويبسط المسبحة والإبهام لما:

٢٣- روى أبو داود وغيره بسند قال النووي صحيح عن أبي حميد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ « أَنَّهُ وَضَعَ كَفَّهُ اليُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُمْنَى، وَكَفَّهُ اليُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُسْرَى، وَأَشَارَ بإصبعه»[2].

والقول الثالث: أنه يقبض الخنصر، والبنصر، ويحلِّق الإبهام مع الوسطى لما:

٢٤- روى البيهقي عن وائل بن حجر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ وَضَعَ مِرْفَقَهُ الأَيْمَنَ عَلَى فَخِذِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ عقد من أَصَابِعِهِ الخِنْصَرَ وَالَّتِي تَلِيهَا، وَحَلَّقَ حَلْقَةً بِإِصبعه الوُسطَى عَلَى الإِبْهَامِ وَرَفَعَ السَّبَّابَةَ يشيرُ بِهَا»[3].

---

(١) حديث صحيح. أخرجه مسلم (٥٧٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٨٥)، والبيهقي (٢/ ١٣١) في سننه الكبرى، وانظر السابق.

(٢) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٩٥٩)، والترمذي (٢٩٣)، والنسائي (٣/ ٣٤)، والبيهقي (٢/ ١٢٩) في سننه الكبرى.

(٣) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٩٥٣)، والنسائي (٣/ ٣٧)، وابن ماجه (٩١٢)، وأحمد (٤/ ٣١٦، ٣١٦)، وابن خزيمة (٦٩٧)، (٦٩٨)، والبيهقي (٢/ ١٣١) في سننه الكبرى، وابن حبان (٣/ ٢٠١).

قال النووي: ورواه ابن ماجه بمعناه، وإسناده صحيح.

وقال: قال البيهقي: ونحن نجيزه، ونختار ما في حديث ابن عمر، ثم ابن الزبير - رضي الله عنه - لثبوت خبرهما، وقوة إسناده، ومزية رجالهما، ورجحانهم في الفضل على عاصم بن كليب راوي حديث وائل[1].

قال في الروضة: وفي كيفية التحليق وجهان، أصحهما يحلق بين رأسيهما[2].

والثاني: يضع أنملة الوسطى بين عقد الإبهام.

قال النووي: قال أصحابنا: وكيفما فعل من هذه الهيئات، فقد أتى السنة، لأن الأخبار تدل على أن النبي ﷺ كان يضعها تارة كذا، وتارة كذا، قاله في البيان عن ابن الصباغ، وإنما الخلاف في الأفضل.

٢٥- قال أصحابنا[3]: وعلى الأقوال، والأوجه كلها يسن أن يشير بمسبحة يمناه، وفيرفعها إذا بلغ الهمزة من قوله «إلا الله».

قال في البيان: يشير بها في الشهادة عند كلمة الإثبات، وهي «إلا الله» لا عند كلمة النفي.

قال النووي: ونص الشافعي على استحباب الإشارة للأحاديث السابقة.

٢٦- قال أصحابنا: ولا يشير بها إلا مرة، [وحكى][4] الرافعي أنه يشير بها في جميع التشهد، وهو ضعيفٌ.

وهل يحركها عند الرفع بالإشارة؟ فيه أوجه: الصحيح الذي قطع به الجمهور

---

(١) انظر سنن البيهقي (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: المجموع للنووي (٣/ ٤٥٤).

(٣) يعنى الشافعية.

(٤) بياض في الأصل، وأثبته من المجموع للنووي.

أنه لا يحركـها، فلو حركهـا كان مكروهًا، ولا تبطل صلاته على الصـحيح، لأنه عمل قليل.

والثاني: يحرم تحريـكها، فإن حركها بطلت صلاته، حكـاه صاحب البيان عن أبي علي بن أبي هريرة، وهو شاذٌ ضعيفٌ.

والثالث: يستحب تحريكها حكاه الشيخ أبو حامد، والبندنيجى، والقاضي أبو الطيب، وآخرون.

قال صـاحب البيان: قال الشـيخ أبو حامد: فإذا قـلنا بهذا، فإنه يحركـها في جميع التشهد، ولا تبطل صلاته بذلك، لأنه عمل قليل، فهو كما لو غمض عينيه وفتحهما[1]. انتهى.

٢٧- وقـد يحتج لهـذا بحديـث وائل بن حجـر أنه وصف صلاة رسـول الله ﷺ، وذكر وضع اليدين في التشهد، وقال: «ثم رفع أصبعه، فرأيته يحركها يدعو بها»[2].

رواه البيهقي بإسناد صـحيح، قال البيهقي: يحتـمل أن يكون المراد بالتحريك الإشارة بها، لا تكرير تحريكها، فيكون موافقًا لرواية ابن الزبير.

٢٨- وذكِر بإسنادٍ صحيح عن ابن الزبير - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ «كَانَ يُشِيرُ بِأُصْبَعِهِ إِذَا دَعَا وَلاَ يُحَرِّكُهَا»[3].

---

(١) انظر: المجموع للنووي (٣/ ٤٥٤).

(٢) حديث صحيح. أخرجه النسائي (٣/ ٣٧) وسبق تخريجه مفصلاً قريبًا.

(٣) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٩٨٥)، والنسائي (٣/ ٣٧-٣٨)، والبغوي (٣/ ١٧٨) في شـرح السنة، وعبد الرزاق (٣٢٤٢) في مصنفـه، وابن سعد (١/ ٢/ ١٠) في طبقاته الكبرى، والبيهقي (٢/ ١٣٢، ١٣٣) في سننه الكبرى.

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وأما الحديث المروي عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: «تحريك الأصبع في الصلاة مذعرة للشيطان»[1].

فليس بصحيح.

قال البيهقي: تفرد به الواقدي، وهو ضعيف[2].

٢٩- قال العلماء: الحكمة في وضع اليدين على الفخذين في التشهد أن يمنعهما من العبث[3].

قلت: ولأنه بوضعهما كذلك يكون على أجمع الهيئات، وأشدها توحيداً للجسد، ليوافق الظاهر الباطن في توحيد القصد في حضرة الصمدية، مع الإشارة التي معناها التوحيد بالقول والفعل[4]، والله أعلم.

٣٠- وقال[5]: ويسن أن تكون الإشارة بالمسبِّحة إلى جهة القبلة.

واستدل البيهقي بحديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ[6].

وينوي بالإشارة: الإخلاص، والتوحيد، ذكره المزني في مختصره، وسائر الأصحاب.

٣١- واستدل له البيهقي بحديثٍ فيه رجلٌ مجهولٌ عن خفاف بن إيماء

---

(١) حديث ضعيف جداً. أخرجه البيهقي (٢/ ١٣٢) في سننه الكبرى، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٤١) من طريق الواقدي عن كثير بن زيد عن نافع ابن عمر به مرفوعاً.
وقال البيهقي: تفرد به الواقدي، وليس بالقوي.

(٢) السنن الكبرى (٢/ ١٣٢) بنحوه، وانظر المجموع للنووي (٣/ ٤٥٤).

(٣) المجموع للنووي (٣/ ٤٥٥).

(٤) انظر: عون المعبود (٣/ ١٩٦) لأبي الطيب.

(٥) أي النووي في المجموع (٣/ ٤٥٥).

(٦) سبق تخريجه.

الصحابي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ «كان يشير بها للتوحيد»[1].

٣٢- وعن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: هو الإخلاص[2].

٣٣- ويكره أن يشير بالسبابتين من اليدين، لأن سُنة اليسرى أن تستمر مبسوطة، ولا يجاوز بصره إشارته.

واحتج له البيهقي وغيره بحديث عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ «أن النبي ﷺ وَضَعَ يَدَهُ اليُمنَى عَلَى فَخذِهِ اليُمنَى، وأَشَارَ بِإِصبَعِهِ، ولاَ يُجَاوِزُ بَصَرَهُ إِشَارَتَهُ [3]»[4].

رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح[5].

وكأنه شُرع ليجمع في التوحيد بين القول والفعل والبصر، فيكون أمكن لدوام استحضار الاعتقاد.

---

(١) **حديث ضعيف**. أخرجه البيهقي (٢/ ١٣٣) في سننه من طريق محمد بن إسحاق عن عمران بن أبي أنس عن رجل من أهل المدينة عن خفاف به.
وفيه جهالة أحد رواته.
وانظر: المجموع (٣/ ٤٥٥).

(٢) أخرجه البيهقي (٣/ ١٣٣) من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن العيزار، قال سئل ابن عباس فذكره.
وفي سنده الأعمش، وأبو إسحاق السبيعي، وكلاهما من المدلسين. ثم أخرجه (٣/١٣٣) لكن من طريق الثوري عن أبي إسحاق عن أربدة التميمي عن ابن عباس بمثله.
وفيه عنعنة أبو إسحاق السبيعي، وهو مدلسٌ.

(٣) أي: بل كان يتبع بصره إشارته لأنه الأدب الموافق للخضوع، والمعنى: لا ينظر إلى السماء حين الإشارة إلى التوحيد، كما هو عادة بعض الناس، بل ينظر إلى إصبعه، ولا يجاوز بصره عنها. انظر عون المعبود (٣/ ١٩٧).

(٤) **حديث صحيح**. أخرجه أبو داود (٩٨٦)، والنسائي (٣/ ٣٩)، والبيهقي (٢/ ١٣٢) في سننه الكبرى، وسبق تخريجه مفصلاً.

(٥) انظر: المجموع للنووي (٣/ ٤٥٥).

٣٤- ويستحب أن تكون المسبحة بعد الإشارة مائلة عن السواء قليلا.

نقله الإسنوي عن المحاملي في «اللباب» قال: ويؤيده ما رواه مالك بن نمير الخزاعي عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَاضِعًا ذِرَاعَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، رَافِعًا إِصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ قَدْ حَنَاهَا[1] شَيْئًا»[2].

٣٥- وأما إمالة المسبحة قليلاً، فلعل المعنى فيه أنه حين الإشارة بها إلى التوحيد، ليجمع بين القول والفعل يبسطها، ثم يشتغل باستحضار التوحيد عن مراعاتها فتترامى إلى ما يدعو إليه الطبع من غير تكلف، وهو ما حكاه نُمير رضي الله عنه.

ويؤيده أن هيئة القبض كعقد ثلاثة وخمسين، وذلك هو أن يضم الخنصر، والبنصر، والوسطى إلى الكف مع الرخاوة وضمها على تلك الهيئة كناية عن ثلاثة، ومن تخليتها مع الطبع جاءت رخاوتها لعدم العناية بشدها للإشتغال عن ذلك بالذكر، فإن اشتد القبض وأحكم كان كناية عن تسعة، فإن وضع الإبهام عليها كان مع الرخاوة ثلاثة وخمسين، ومع الشدة تسعة وخمسين، هذا الذي أعرفه من عقد الحساب.

وأما الثلاثة والعشرون فهو كذلك مع الرخاوة بشرط أن يشتد انحناء السبابة حتى تصير على طرف الإبهام.

٣٦- ويصلي بعد هذا التشهد على النبي ﷺ، ثم يدعو بعده بما روى الشيخان، والنسائي، والحاكم، واللفظ لهما عن كعب بن عجرة ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) أي: أمالها قليلاً.

(٢) حديث صحيح. وإسناده حسن. أخرجه أبو داود (٩٨٧)، والنسائي (٣/ ٣٩)، وابن ماجه (٩١١) مختصراً، وابن حبان (٣/ ٢٠٢)، والبيهقي (٣/ ١٣١) في سننه، وابن خزيمة (٧١٦).

أن النبي ﷺ سئل عن كيفية الصلاة عليه، فقال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ[1]، وَعَلَى آلِ مُحمدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبراهيمَ وَعَلى آلِ إبراهيمَ، وبَارِكْ عَلَى مُحمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحمدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْراهيم وَعَلى آلِ إبراهيمِ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[2]»[3].

٣٧- وفي رواية لابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح، والدارقطني، وقال: إسنادٌ حسنٌ، والبيهقي عن أبي مسعود البدري إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا؟ وفيها: «كما صليت على إبراهيم»[4].

٣٨- ولمسلم من حديثِ علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتَ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[5].

---

(١) الصلاة: الدعاء، والرحمة، والاستغفار، وحسن الثناء من الله تعالى على رسوله ﷺ، وهو من العباد طلب إفاضة الرحمة الشاملة لخير الدنيا والآخرة من الله تعالى عليه ﷺ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين به.

(٢) أي: محمود الأفعال، مستحق لجميع المحامد لما في الصيغة من المبالغة، وهو تعليل لطلب الصلاة منه، والمجيد المتصف بالمجد، وهو كمال الشرف، والكرم، والصفات المحمودة.

(٣) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٤١، ٢٤٤)، وأبو داود (٩٧٢)، والترمذي (٤٨٢)، والنسائي (٣/ ٤٧)، وابن ماجه (٩٠٤)، والطيالسي (٤٦٣)، وابن حبان (٣/ ٢٠٦)، والدارمي (١/ ٣٠٩)، وابن الجارود (٢٠٦) في المنتقى، والبغوي (٦٨١) في شرح السنة.

(٤) حديث صحيح. أخرجه مسلم (٤٠٥) بنحوه، وأبو داود (٩٧٦)، وابن حبان (٣/ ٢٠٧، ٢١٠)، وابن خزيمة (٧١١)، والدارقطني (١/ ٣٥٥، ٣٥٦)، والبغوي (٦٨٣) في شرح السنة، والحاكم (١/ ٢٦٨).

(٥) حديث صحيح. أخرجه مسلم (٧٧١)، وأحمد (١/ ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٣)، وأبو داود (١٥٠٦)، وابن خزيمة (٧٤٣)، والبغوي (٥٧٢) في شرح السنة، والبيهقي (٢/ ١٨٥) في سننه الكبرى.

ورواه مسلم أيضًا من طريق أخرى، وأبو داود أنه كان يقوله بعد التسليم.

٣٩- ولمسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:

«إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ [١] فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ المحْيَا وَالمَمَاتِ[٢]، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ»[٣].

وفي البخاري من غير تقييد بالتشهد، وفي النسائي وزاد فيه: «ثم ليدع لنفسه بما بدا له».

* * *

(١) وفي رواية زيادة «الآخر» وفيه تعيين محل هذه الاستعاذة بعد التشهد الأخير.

(٢) فتنة المحيا: ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات، والجهالات، وأعظمها أمر الخاتمة عند الموت.

وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد على هذا بفتنة المحيا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها ـ يعني فتنة الممات ـ فتنة القبر، وقد صح أنهم يفتنون في قبورهم.

وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر، مع الحيرة. نقلاً عن عون المعبود (٣/ ١٩٢).

(٣) **حديث صحيح.** أخرجه مسلم (٥٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٧)، وأبو داود (٩٧٩)، والنسائي (٣/ ٥٨)، وابن ماجه (٩٠٩)، والدارمي (١/ ٣١٠)، وابن حبان (٣/ ٢١١)، والبغوي (٦٩٣) في شرح السنة، وأبو نعيم (٦/ ٧٩) في الحلية، والبيهقي (٢/ ١٥٤) في سننه الكبرى، وزاد «ثم ليدعو لنفسه بما بدا له».

قال ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٢٢): هذه الزيادة صحيحة لأنها من الطريق التي أخرجها مُسلم.

الأصل الثاني

في استجلاء المعاني مما فيهما من الأسرار المحجبة بغرائب الإسناد من أشعة الأنوار الباهرة لنوافذ الأبصار، وفيه فصلان:

الأول في أسرار الأذان:

الأذان مقصوده الإعلام بأوقات الصلاة تنبيهًا على أن الدين قد ظهر، وانتشر علم لوائه في الخافقين، واشتهر، وسار في الآفاق على الرؤوس فبهر، وأذل الجبابرة وقهر.

٤٠- اعلم: أنه لما كان الدين المحمدي دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحدٍ دينًا غيره، قد علا على كل دينٍ، وظهر على كل مخالف، فخفقت راياته بعد أن كانت خفية، وانتشرت أعلام ألويته بعد أن كانت ملوية، وبعتاة أهل الأباطيل مطوية، وقد كان الشرك منذ أزمان في غاية الظهور، والباطل هو المعمول به، والمشهور ناسب أن يصدح بأذانه، ويشذى به على غاية إعلانه.

ولما كان الأذان شعار الإسلام، فاشتمل على قواعد الدين العقلية(*) الثلاث:

إثبات الواجبات، ونفي المستحيلات، وتجويز الجائزات.

فكانوا يشركون به سبحانه غيره، ويتعبدون لسواه، كان أنسب الأمور البداءة بإثبات ماله من الواجبات، فأفاد ذلك بالتنبيه على تفرده بالكبرياء، وتوحده بالعلاء، فقال بادئًا بالاسم الأعظم الدال على الذات، المستجمع لجميع الكمالات:

«الله»(*) أي: الملك الذي لا كفؤ له، ولا سميّ، ولا ضد، ولا نظير، ولا كفئ.

وأتى بالخبر نكرة ليدل على إسناده إليه على الإطلاق، وأنه لا خفاء بانفراده

(*) بناء دين الله على قواعد عقلية: هو أحد أصول المعتزلة وعنهم تلقاه الأشاعرة. وهو مسلك باطل، قاله أهل السنة: لأن دين الله وشرعه توقيفيٌّ.

(*) بل معنى «الله» أي: المعبود الذي يستحق العبادة وهي بمعناها العام والشامل والكامل والمبنيّ على العلم ومنتهى محبته سبحانه مع منتهى الخضوع له تعالى، والفزع إليه في الحوائج، والنوائب في الرخاء والشدةً؛ والسراء والضراء، رغبة ورهبة. وبيان هاتين الفقرتين مضى بوضوح في المقدمة.

بذلك، ولأن المقام لا سيما في الصلاة للفناء عن كل ما سواه سبحانه، فقال: «أكبر».

ولم يذكر متعلقًا، ذهابًا بالتعميم إلى أعلى الغايات، وأنهى النهايات، وقد علم قطعًا أن من ثبت له الكبرياء وجبت له العظمة، والحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة(*) إلى غير ذلك من صفات الكمال.

ولما كان قد طال ما تقرر الشرك في الأذهان، وصال به أهل الطغيان، اقتضى الحال تأكيد ذلك، ولأجل هذا ثنى التكبير في الإقامة مع أنها فرادى.

ولما كان المراد بجميع كمالات الأذان مجرد الإعلام بالوقت، وبهذه المقاصد المراد بها نسخ ما عداه، قال مؤكدًا من غير عطفٍ لشيء من الجمل: «الله أكبر».

ولما كان الحال من جميع الأكوان شديد الاقتضاء لمزيد التأكيد لتطاول أزمان الشرك، قال ملذة لأسماع الموجودات، ومرويًا لعطاش أكباد الكائنات: «الله أكبر».

ولما تم تقرير ذلك في الأذهان، وعلم علمًا تامًا أن التوحيد قد علا وقهر جميع الأديان، ارتقب كل سامعٍ ما يقال بعده، فقال مبتدئًا دورًا جديدًا من هذا الإعلام لمزيد التقرير عند جميع الأنام: «الله أكبر».

فلما علم أن ذلك إلى غير نهاية، ولا حد تقف عنده، ولا غاية، قال مترجمًا لما أنتجه ملقنًا لكل سامع ما وجب عليه من الواجب من نفي المستحيلات مسرًا بذلك بعض الإسرار علامة بما كان من حال هذا الدين في أول الأمر برهانًا على حسن هذا التأكيد: «أشهد».

أي: أعلم علمًا قطعيًا أنا في مزيد بصري به كالناظر إلى محسوس، وهو في غاية الجلاء:

(*) هذا الحصر لأسماء الله وصفاته هو الذي أوقع الأشاعرة في تناقضهم المشهور وسرُّ عدم ذكر المؤلف الثلاث الباقيات: لأنهن ثبتن بالسمع مع العقل عندهم ولعله لهذا لم يذكرهن، وهن: «السمع، والبصر، والكلام».
والمصدر الذي تَلَقوا منه هذا الحصر بينه الشيخ محمد الأمين الشنقيطيُّ رحمه الله بقوله: (جاءوا بأدلة عقلية ركبوها من أقيسة منطقية قسموا صفات الله جل وعلا ـ من خلالها ـ إلى ستة أقسام. . . فيثبتون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني سبع صفات فقط. . . وينكرون ما سواها من المعاني ويؤولونها).
وبهذا أثبت الأشاعرة قديماً وحديثاً تلقيهم وتتلمذهم في نفي صفات الله تعالى الخبرية: ذاتية أو فعلية: عن المعتزلة. ومدرسة شيخ الإسلام بددت هذا الظلام والحمد لله.

«أن لا إله إلا الله».

ولما كان المقام كما مضى شديد الاقتضاء للتأكيد، قال ثانيًا: «أشهد أن لا إله إلا الله».

فلما أخذ المقام حظه من التأكيد، ولم يحتج فيه إلى مزيدٍ، فتلقى ذلك بالقبول العبيد، شرع في إثبات ما له سبحانه من الجائزات.

ولما كان الصدح بالأذان بعد القهر لأتباع الشيطان رسخ في عقل كل من له وعى، أن له سبحانه أن يفعل ما يشاء فثبت رسالة الذي أتى بهذا الدين، وجاهد به الجاحدين حتى قهرهم وحده، صاغرين أجمعين، فقال على طريق النتائج المسلمة: «أشهد أن محمدًا» ذاكرًا أشرف أسمائه، وأشهرها، وأطيبها، وأظهرها.

«رسول الله» مخصصًا وصف الرسالة الذي هو بين الحق والخلق، لأن المقام داع إليه، ومقصور عليه.

ثم أتبع ذلك ما اقتضاه الحال من تأكيده في تعظيمه وتمجيده، فقال: «أشهد أن محمدًا رسول الله».

٤١- فلما أخذ المقام حظه من التأكيد للإعلام بما كان فيه أهل الإسلام من الشدائد، والآلام، أتبعه ما اقتضاه الحال من رفع الصوت بهذا المقال، مشيرًا مع ذلك إلى أن باطن الدين وظاهره سواء، ليس فيه حقيقة تخالف شريعة.

وحاضًا على أن المتشرع به يجب عليه أن يكون مثل الشرع ظاهره وباطنه سواء، لانفاق فيه بوجه أصلاً، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله».

ولما كان مثل هذا الظهور، والاشتهار، والجلاء بعد ذلك الكمون، والخفاء، أمرًا باهرًا، لا يكاد يصدق أكده، فقال: «أشهد أن لا إله الا الله».

فلما استقر في الأذهان سر هذا الإعلان، أتبعه ما اقتضاه الحال من الشهادة للآتي بهذا الدين من صدق المقال في دعوى الإرسال، فقال: «أشهد أن محمدًا رسول الله».

ثم أكده كما مضى لما مضى، فقال: «أشهد أن محمداً رسول الله».

٤٢- ولما انقضى تأصيل قواعد الدين العقلية، وثبت ذلك، وانجلت دياجير تلك الأمور الحوالك، فتيسر السلوك لكل سالكٍ في أشرف المسالك، شرع في إثبات القاعدتين السمعيتين: تعمير أوقات الدنيا بالدين التكليفي، ثم بيان ما على ذلك في الآخرة من الدين الجزائي، فقال ذاكراً لما أثمرته الرسالة من الخلاص من إشراك الضلالة، والرد على طرقها الميالة، وأوديتها المغتالة، مصرحًا من الدين التكليفي بعماده المثبت لجميع أوتاده «حي على» أي: هلم أقبلوا جهاراً غير خائفين من أحدٍ، إلى «الصلاة» بادئًا بما هو نهاية الدين الجامع لمشمله المميز لأهله.

ولما كان الناظر لذلك الحال يشتد عجبًا من الوصول إلى هذا المال، قال مؤكدًا: «حي على الصلاة».

فلما تقرر ذلك كان كأنه قيل: هل من عمل غيرها ؟! فقال: «حي على الفلاح».

فكان ذلك مع أنه دعاء إلى كل عملٍ يوجب الفوز، والظفر، بكل مراد مؤكدًا للدعاء إلى الصلاة على أبلغ وجه، ومتنيراً إلى الدين الجزائي في الآخرة، فإن الفلاح هو الفوز بالمطالب.

٤٣- ولا شك أنه أحسن مما ورد في بعض الآثار الموقوفة في الموطأ رواية محمد بن الحسن، وجامع عبد الرزاق على ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وصرح الحفاظ بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ من قوله: «حي على خير العمل»[1].

---

(١) حديث ضعيف مرفوع. صحيح موقوف.

١- أخرج الطبراني (١٠٧١) في الكبير من حديث بلال أنه كان يؤذن بالصبح، فيقول: «حي على خير العمل» فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم، وترك حي على خير العمل، ومن هذا الطريق أخرجه البيهقي (١/ ٤٢٥) في سننه. وسنده ضعيف كما في مجمع الزوائد (١/ ٣٣٠). =

لأنه مع كونه لم يثبت عن النبي ﷺ، فقد صار شعارًا للرافضة، ولا يشمل جميع الأعمال الصالحة، فكان الوارد في الصحيح أبلغ من وجهين:

من جهة: أنه شاملٌ للكل، ومن جهة: التعبير عن ذلك باللازم الذي هو الغاية المترتبة على العمل، تحبيبًا فيه، وتشويقًا إليه، مع أنه كان يقول بعد «حي على الفلاح» ولما كان تطاول الصولة بالإذلال والقهر موجبًا لاستبعاد الإقبال عن كل عمل من أعمال الشرع على سبيل الجهر، أكد هذا الكلام الداعي إلى كل خير لهذا، وللإشارة إلى أنه الحسنة، جدير بالتأكيد، وأهل لأن يُعرف بمقداره أثاره، فقال: «حي على الفلاح». .

وفيه إشارة إلى أن الأمر خيرٌ، والطريق صعب، فلابُدّ بالتأهب له بأعظم الزاد لتحصيل الراحة في المآل والمعاد.

ولما كان المدعو قد يكون نائمًا، وكان النوم قد يكون خيرًا، إما بأن يكون القصد به راحة البدن للتقوى على الطاعة، أو يكون للتخلي عن المعصية، وكان

= ٢- أخرجه مالك (٩٢) في الموطأ عن نافع عن ابن عمر أنه كان أحيانًا إذا قال: حي على الفلاح، قال على إثرها: حي على خير العمل.

٣- وأخرجه عبد الرزاق (١٧٩٧) في مصنفه بنحوه، وكذا ابن أبي شيبة (١/ ٢٤٤)، والبيهقي (١/ ٤٢٤) في سننه الكبرى، من طُرقٍ عن ابن عمر موقوفًا.

٤- وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٤٤)، والبيهقي (١/ ٤٢٥) في سننه من فعل علي بن الحسين.

٥- قال البيهقي (١/ ٤٢٥) في سننه: هذه اللفظة لم تثبت عن النبي ﷺ فيما علم بلالاً، وأبا محذورة، ونحن نكره الزيادة فيه.

٦- وقال النووي في المجموع (٣/ ٩٨): « فرع» يكره أن يقال في الأذان حي على خير العمل، لأنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ، وروى البيهقي فيه شيئًا موقوفًا على ابن عمر، وعلي بن الحسين.

أكثر ما يكون ذلك في آخر الليل، كان التثويب[1] خاصًا بأذان الصبح، فقال فيه «الصلاة» أي التي هي أعظم الفلاح.

٤٤- ومن أعظم مقاصد هذا الأذان الإعلام بوقتها، والدعاء إليها خير من النوم.

ولما كان من يغلبه النوم محتاجًا إلى الإزعاج أكد ذلك بالتكرير، فقال: «الصلاة خير من النوم».

ولما كان للصبح أذانان كان التثويب ربما كان في الأول، فكان دعاء إلى قيام الليل، الذي شرع له ذلك الأذان كما بين سره في بعض الروايات في قوله: «ليرجع قائمكم وينبه نائمكم»[2].

وربما كان في الثاني، فكان دعاء إلى فرض الصبح، وهو بالأول أنسب، لأن الفرض له حاث يحث عليه، وداعٍ مُلِح يدعو إليه، وهو الوجوب الذي من أخل به عوقب، ومن جاوز حده ليم، وعُذب.

٤٥- ولما تم الدين بجملته، وكمل أصلاً وفرعًا، قولاً ونية، وعملاً برمته، علل الدعاء إليه مرغبًا مرهبًا بقوله، مذكرًا بما بدأ الأمر به، ومؤكدًا له، وذلك إثبات الواجبات، ونفي المستحيلات إعلامًا بأنهما الأصل الأصيل، والعماد الكفيل بنيل كل جميل، لأنهما المثيران لاستحضار عظمته التي أظهر بها الدين، وأذل بها المعتدين، بعد أن كانوا على ثقة من أنه لا غالب لهم: «الله أكبر».

---

(١) التثويب: هو أن يقول في أذان الصبح بعد قوله: «حي على الفلاح» الصلاة خير من النوم مرتين، وسمي بالتثويب من: ثاب، إذا رجع، لأنه يرجع إلى دعائهم بقوله: «الصلاة خير من النوم» بعد ما دعاهم إليها بقوله: «حي على الصلاة» وكل داعٍ مثوِّبٌ، وأصل التثويب: رفع الصوت بالإعلام.

(٢) سبق تخريجه.

ثم أكد لمسيس الحاجة إلى ذلك في الترغيب والترهيب، فقال: «الله أكبر».

فلما تم الأمر، وجل التشويق والزجر لم تدع حاجة إلى تربيع التكبير هنا كما كان في الأول، فختم بما بدأ به من التوحيد إعلامًا، بأنه لا يقبل شيء من الدين إلا به مقارنًا له من ابتدائه إلى انتهائه، فقال: «لا إله إلا الله».

ولما كان ذلك قد وصل إلى حدٍ لا مزيد عليه، لم يحتج إلى تأكيد حتى، ولا بلفظ الشهادة إعلامًا بأنه ليس وراء هذا إلا السيف لمن توقف عنه أو عاند فيه.

ولما كان أجل ما يراد بالأذان كما مضى الأعلام بظهور الإسلام على جميع الأديان، وأنه قد أورق عوده، وزكا وجوده، وثبت عموده، وعز أنصاره وجنوده، جاء على سبيل التعديد والتقرير، والتأكيد من غير عاطف، ولا لافت عن هذا المراد، ولا صارف تنبيهًا على أن كل جملة منه ركن برأسه مستقل بذلك بنفسه، معرب عما هو المراد من الإظهار بالتعداد.

٤٦- هذا ما شرعه الله لعباده من الأذان في حالتي النوم واليقظة في الليل والنهار على وفاء لا مزيد عليه كما هو مصرح به في قوله ﷺ: «اللهم رب هذه الدعوة التامة»[1].

فمن زاد حرفًا فما فوقه، فقد أساء، وتعدى، وظلم.

ومن الواضح المبين أن المعنى في إجابة السامع لألفاظه بها الإيذان باعتقاده، والاذعان لمراده، وأن تخصيص الجواب في الدعاء إلى الصلاة والفلاح بالحوقلة، المراد به سؤال المعونة على تلك الأفعال الكرام، تبرؤًا من القدرة على شيءٍ بغير تقدير الله ردًا للأمر إلى أهله، وأخذًا له من معدنه وأصله، والإقامة فرادى لأنه لما

---

(١) حديث صحيح. أخرجه البخاري (١/ ١٥٩)، وأحمد (٣/ ٣٠٢،٣٥٤)، والنسائي (٢/ ٢٧)، وابن أبي عاصم (٢/ ٣٩٥) في السنة، والبغوي (٢/ ٢٨٤) في شرح السنة، والبيهقي (١/ ٤١٠) في سننه الكبرى.

ثبت بالأذان أن أمر الوحدانية والرسالة، وعلم المدعو ما ندب إليه صار الأمر غنيًا عن التأكيد فلم يحتج إلى غير الإعلام بالقيام إلى ما دعى إليه، وأعلم بوقته، وأكد التكرير لما ذكر في الأذان نوع تأكيد لما تقدم من مزيد الاهتمام، والإقامة لإسراع من عنده بعض غفلة أو توان، هذا ما فتح الله، وله الحمد به.

ثم بعد الفراغ من إتمام الكتاب رأيت الشيخ محيى الدين النووي، نقل في الأذان من شرح مسلم عن القاضي عياض، ما أكد ما قلته من اشتمال الأذان والإقامة على جميع مقاصد الدين، فقال[1]:

٤٧- واعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعية من العقليات، والسمعيات، فأوله إثبات الذات، وما يستحقه من الكمال، والتنزيه عن أضداده، وذلك بقوله: الله أكبر، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرنا.

ثم صرح بإثبات الوحدانية، ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين.

ثم صرح بإثبات النبوءة، والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية موضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب، ويستحيل، ويجوز في حقه سبحانه وتعالى.

ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات التي هي حكمة الدنيا، فدعاهم إلى الصلاة، وعقبها بعد إثبات النبوءة، لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل.

ثم دعا إلى الفلاح، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٨٩).

الآخرة من البعث والجزاء، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام.

ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها، وهو متضمن لتأكيد الإيمان، وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على تنبيه من أمره، وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه، وعظمه حق من يعبده، وجزيل ثوابه.

٤٨- قال الشيخ: هذا آخر كلام القاضي، وهو من النفائس الجليلة، وبالله التوفيق.

وقال الإمام العارف ولي الدين الملوي في شرحه لقواعد العقائد لسلطان العلماء عز الدين عبد السلام:

فائدة: قال بعض الأئمة الأعلام فذكره سواء، ثم قال: وإنما ذكرته لأمور:

منها: أنه من النفائس الجليلة.

ومنها: أنه يبين كون سمعيات التكليف والجزاء آخر قواعد العقائد.

ومنها: أنه مخلص جميع ما تقدم ذكره في هذا الإملاء، فيستحضره الذهن في ملح البصر.

ومنها: أن السنة عليه توجب تذكر هذه العقائد الإيمانية عند كل أذان.

ومنها: أنه مذكر بنعمة الله تعالى ومنته، إذ جمع لهذه الأمة ترجمة دينها في هذه الكلمة الوجيزة.

ومنها: الاشعار باغناء ما ورد عما يجدده العلماء فمستشرحه لا يفتقر معه إلى شيء. والحمد لله انتهى كلام الملوي.

٤٩- وفي بدء الأذان بالتكبير وختمه به إشارة إلى أن الدين مع أنه يسر سمح سهل، هو متين، لن يشاده أحد إلا غلبه، وأن الله تعالى أكبر وأعظم من أن يقدر أحد على أن يقدره حق قدره، وإلى ذلك ينظر التكبير في الصلاة في كل انتقال

إلا في الاعتـدال من الركوع لأنه ليس في الصلاة رجوع إلى حـالة معتادة لا تـغير فيها سـواه، فكان بالحمد أليق، وإلى نظر الأذان بختمه بالتوحـيد من غير تكرير، ولا تأكيد إلى الجلال، والعظمة، والقهر لكل شيء، والعلو، والكمال، ينظر إدبار الشيطان عند سماعه، وله ضراط حتى لا يسمعه للخوف من أن تغتاله بارقة سطوة أو صاعقة عظمة، ولذلك عبـر عنه في الحديث بالحصاص، بالضم، وأن معناه أنه يكون له في تلك الحـالة ضراط شـديد بالغ ظاهر جداً لكل من له أهلـية الاطلاع عليـه مزعج الحركـة مسـتمكن يرمي من شـدته بالعذرة، وعـدو في إدباره هو مع شدته من أجل استرخائه لما له من الرعب كمشي المقيد.

قال في القاموس: وفي المـثل: أفلت وانحص الذنب، يضرب لمن أشفى على الهلاك، ثم نجا.

* * *

الفصل الثاني في التعهد لأسرار التشهد

التشهد مقصوده الإعلام بما أوصلت إليه حضرة الصلاة من جلائل الأعلام، وأن المتشهد من أتباع محمد ﷺ، والسؤال في الاعتصام بحبلهم على الدوام، والاستعاذة من مخالفتهم والسلام.

وحاصلة الإعلام بالشهادة بالوحدانية للملك العلام، والرسالة لخلاصة الخلق عليه الصلاة والسلام، وما عداه وسيلة وختام.

٥٠- أعلم أنه لما كان المراد منه الاعتقاد لا مجرد التعداد جاء ما وافق الأذان منه معطوفًا ايذانًا بأن المراد الجمع بين الشهادتين في الضمير على أتم الوجوه، وأعلاها، وأكملها، وأولاها، وأما غير ما وافق الأذان فجاء تارة معطوفًا، وأخرى عن العطف معزولاً ومصروفًا بحسب ما اقتضاه الحال من البلاغة في المقال، ولو في روايتين تكشف كل منهما ما أريد بالأخرى، وما هو الأولى بها والأخرى.

ولما كان المصلي قد قطع بانقطاعه عما سوى الله بتحرمه، ثم بقيامه، وقعوده، وركوعه، وسجوده مراحل البعد، وطوى بلاوته وخضوعه، وتسبيحه، وخشوعه، مهامه الفرقة وشقة البين فصار من أهل حضرة الشهود بين يدي المعبود، وشرع له التسليم الذي لا يكون إلا للحاضر السامع الناظر، وعلى ذلك دل اسمه التشهد، المأخوذ من الشهود والشهادة بمعنى أتم الحضور وسمه التحيات، أدل على ذلك فقال: «التحيات» .

أي: أنواع السلام، والبقاء، والملك كلها.

ولما كان ربما وقع في وهم أنه قد ينقطع، ولو في بعض المعنى، ولو في وقت، قال: «المباركات».

أي: ذوات النماء، والزيادة، والثبات، والسعادة، والإقامة، واليمن، والمواظبة، والخير.

ولما كان المراد أن ذلك مع الوصلة، وإظهار الشرف، قال: «الصلوات».

أي: ذوات الوصلة، والرحمة، وحسن الثناء والعطف، والنعمة، ويلزم بلوغ الغـاية في التمكن في جـميع ذلك الذي دل عليـه مع جمع هذه المصـادر، الدال مفردهـا على جميع المعنى التحليـة بالسلام الدالة على الكمال، الوصف بالـقهر، والغلبة، الذي هو معنى الصولة الناشئة عن غاية القدر.

٥١- ولما أريد أن ذلك مع الملائمة، واللذة الداعية إلى الإقبال، والرغبة، قال: «الطيبات».

أي: ذوات الخلوص في جمـيع المعاني الذكورة، واللذة، والزكـاة، والنماء، والطهارة، والنزاهة، والخـيرات، والفواضل، والمحـاسن، والفضائل التي انتـشر عبيرها في جميع الوجود، وعبق أريجها وشذاها فهيئ كل ناشيء لعين الشهود.

ولما دل ابتاع هذه الأوصاف في هذه الرواية من غـير عطف على أن المراد أنها كالشيء الواحد، دل المقام بسبب التحية المراد بـها مزيد الاعتناء في التحبب بتعديد الأوصاف، وجمع كل واحدٍ منـهما، على ما دلت عليه رواية ابن مسـعود بعطفها من زيادة التمكن في كل وصفٍ منها إلى حد لا مطمع في إدراكه كل الإدراك.

ولما كان حـال الصلاة، وإن كـان مبناه الوصلة يغلب فـيه التـجلي في مظاهر العظمة التي تناظر الهيبة، والكبر، والصـولة، والعزة، والجبروت، والغيرة بالقطع عن جمـيع الأغيار، اقتضـى ذلك التعبيـر في موضع الكاف بالاسم الأعظم الذي مدلوله الذات بجميع ما لها من الصفات، فقال: «لله»[1] .

أي: الملك الذي لا ملك غيره، والعظيم الذي لا عظيم، ولا كبيره سواه.

٥٢- ولما كان مـا ذكر من الأوصـاف لا يكمل إلا بالقدرة على الإفـاضة على الغيـر، وكان أهل الحضـرة أولى بإظهار ذلك عليـهم، واشهـاده فيهم أمـر المحيى

---

(١) راجع ص ٥٣.

الواصل إلى تلك الحضرة الشماء أن يحيي رأس أهلها، ومجمع مكارمها، وذوي فضلها تحية اقتضى مقام الكبرياء، أن تكون مستأنفة غير مضمومة إلى تحيته بعاطف، ولا معبر عنها بلفظها ولا مجموعة، فقال: «سلام».

أي: سلامة، وإظهار شرف وكرامة في غاية الكمال، والعظمة، والجلال كما دل عليه الحال من الكون بالحضرة الإلهية، وأنه المنوه به فيها، وأيدته الرواية الأخرى بإثبات السلام عليك أي: لازم ذلك لك على سبيل التمكن كالبناء المحيط بحيث لا يكون لشيء من ضده سبيل عليك، ولا وصول إليك.

ولما كان الخطاب دالاً على أنه بتلك الحضرة، والبدء به معلمًا بأنه أعلى أهلها زيد في إيضاح ذلك بالتعبير بما يدل على أنه المخصوص مع العلو بلذاذة الخطاب، فقال مسقطًا لأداة النداء دلالة على غاية الوصلة: «أيها النبي».

أي: العالي المقدار المخبر في ذلك المقام بأعلى الأخبار.

٥٣- ولما كان أظهر معاني السلام التحية، والسلامة أتى بما يدل على أن المقصود منه مع ذلك اظهار الشرف، فقال عاطفًا للدلالة على اجتماع تضمينه الأوصاف مع التمكن في الاتصاف بكل منها: «ورحمة الله»(*) .

أي: إكرامه بأعلى الإكرام كما دل عليه الإضافة إلى الاسم الأعظم.

ولما كان ذلك لا يكمل إلا بأن يكون دائمًا، قال: «وبركاته».

أي: وزياداته من جميع الخيرات مع النماء، واليمن، والثبات.

ولما كمل ما لرأس أهل الحضرة، انعطف عليه ما لغيره منهم من غير عاطف

(*) هذا التفسير من المؤلف « لرحمة الله» فيه إجمال محتمل لتأويل صفة الرحمة وهو المحتمل الأقرب هنا لما عهدناه من أصول الأشاعرة المتأخرين وعلى أرجح أقوال أهل العلم إن «الرحمة» هي من صفات الله الذاتية باعتبار أن الله تعالى لم يزل متصفاً بها سبحانه. وهي من صفات الأفعال: لأنه تعالى يرحم من يشاء ويعذب من يشاء عدلاً واستحقاقاً.

اشعارًا بأنه لا مطمع في كـونه مثل ما له بل تتقاصر عنه، فقـال بادئًا بنفسه لكونه من أهل تلك الحضرة: «سلام».

أي: عظيم جدًا.

«علينا» جمع لأجل بناء الصلاة على الجمـاعة، فيكون المراد هو وإمامه، ومن معـهم من مؤمني الجن والإنس، وكـذا الملائكة، وإن كان وحـده فالمراد هو ومن حضره من الملائكة وصالحي الجن، والله أعلم.

٥٤- ولما كان العلماء إظهارًا لمزيد الإكرام لنبينا كأنبياء بني إسرائيل، الذين هم أفضل من سوانا من الأمم، جمع بالعطف ما لجميع ذلك الجمع، فقال ملحقًا غير العالم به إكرامًا له، كما أكرم الكل لإكرام نبيهم: «وعلى عباد الله».

ولما كانت إضافتهم إلى الإسم الأعظم دالة عـلى خصوصهم بطهارتهم من كل غشٍ، وخلصوهم زاد في بيان ذلك بقوله: «الصالحين».

٥٥- ولما عم جميع أهل تلك الحضرة بما طيب ذكرهم، وأعلى قدرهم، اعلم إنه ما فعل ذلك بهم، وهو في مقام المراد منه الفناء إلا لصاحب الحضرة الذي يراد بتحيـته عند الوصول بنهـاية خدمته إلى حـضرته بالشهادة له بالوحـدانية التي عين مقصودها الفناء عـما سواه، فقال من غير عطف ايذانًا بأنه مـا انصرف عنه بسلامه على أهل ولايته، ولا عطف: «أشهد».

أي: أعلم علمًا وصلت في قطعي به إلى أني مشاهدٌ لحقـيقته، لا يغيب عني شيء من أمره أصلاً: «أن لا إله إلا الله»(*).

(*) أي لا معبود بحق إلاَّ الله سبحانه وتعالى، ودلالة هذه الكلمة على التوحيد: هو باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتـضي للحصر وهو كما قال أهل العلم باللغة: أبلغ من الإثبات المجرد: كقولنا: الله إله. وهذه الكلمـة: دلَّ صدرها على نفي الإلهيَّة عما سوى الله تعالى، ودلَّ عَجزُهَا على إثبات وإستـحقاق الإلهيَّة لله وحده، ولا يُفْهَمَنَّ أن هذا =

أي: المالك[1] الذي لا مناظر له في اسمه، فكيف في شيء من معناه.

ولما كان العبد شديد القصور عن الوصول إليه إلا به، فكانت هذه الشهادة لا تتم، ولا تجدي إلا بالشهادة لرسوله، الداعي إليه، الجامع عليه، لأنه سبب الوصلة، وطريق النعمة فلا سبيل إلا به، لما علم من وجوب شكر المنعم، والخضوع للدليل، والاعتراف للرسول، فقال جامعًا بالعطف: «وأشهد أن محمدًا»(*).

مسميًا له بأبلغ أسمائه رسول الله، ذاكرًا الوصف الذي هو سبب الوصلة، فاجتمع الوصفان الدالان على وصلته بالخالق، وكمل النعتان الهاديان إلى علو رتبته على جميع الخلائق، وكرر الاسم الأعظم دلالة على مزيد إعظامه، والاهتمام بإكرامه.

٥٦- ولما كان المقام كما مضى عظيم الغيرة بادر بما يفيد أنه لا ذكر لأحد إلا بذكره، ولا قدر إلا من عظمته، وجليل قدره، فقال داعيًا لعظم المقام بعظم المدعو، لاجله بأشرف الأسماء، واصلاً به أشرف الأدوات، وهي ميم التمام، والكمال، والدوام: «اللهم صل على محمد».

أي: أوقع الصلاة، وهي إظهار الشرف، والإعظام، والإجلال، والإكرام اظهارًا يكون عظمته، ودوامه مناسبين للاسم المدعو به على ما هو عليه.

٥٧- ولما كان إكرام الأتباع من الزيادة في إكرام المتبوع، مع أنه لا يلزم من إكرامه إكرامهم، قال عاطفًا: «وعلى آل محمد».

وهم أقاربه الذين تبعوه في أخلاقه فصاروا بحيث إذا حضروا كان كأنه حاضرٌ معهم لترائيه فيهم، وأظهر، ولم يضمر تعظيمًا له ﷺ، وتنبيهًا على التشرف،

= الاستحقاق منحة وتفضل من البشر على الله بل هو حق الله على العباد خالص له ويجب على الخلق القيام به بمنتهى الحب مع منتهى الخضوع والذل له سبحانه وتعالى.

(١) راجع ص ٥٣.

(*) قال أهل السنة في معناها: «طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد اللهُ إلاَّ بما شرع».

والتلذذ باسمه المبارك، الطيب الطاهر، ولأن الإظهار هنا أبلغ من الإضمار، وذلك لأن كلمة «آل» دالة بما أفهمته الألف من القيام على كل وارث كامل، قائم مقامه ﷺ في الخلافة على الخلق، والقيام بأمرهم كالأقطاب والمستخلفين في أمر الباطن ممن هو غائب عن الخلق كنهًا، وحاضر معهم وجوداً.

والآل عند العرب الذات أيضًا، فآل الرجل من يتنزل منه بمنزلة ذاته، فيكون كأنه يترائى فيهم كترائي الشخص في المرآة، فإذا أروا، كان كأنه رؤي، وإنما دلت على ذلك لأن الألف عند أهل الله عبارة عن القائم المحيط، الغائب عن مقامه كنهًا الحاضر معه، وجوداً كالروح، ومواقع استقرائه في اللغة إفهامًا للقيام كثيرة فيما يعتور على الكلمة مع غيره نحو الهمزة، واللام، اعتور عليهما الألف في كلمة آل هذه، والهاء في أهل.

وكلمة أهل اسم لكل من كان من الرجل بوصلة باطنه من رحمٍ، أو دين، فإن الهاء عندهم معناه الباطن المجتمع لإظهار أمر له غنا كما في الظهور والطهور.

ولما كانت وصلة الدين مقدمة على وصلة الرحم، قيل لنوح عليه السلام في ابنه: ﴿**إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ [هود:٤٦].

وأهل الرجل خواصه المشتركون معه في أمرٍ باطنٍ.

٥٨- ولما كان الآل أشرف، وأجمع، وأشمل من الأهل أضاف ﷺ الآل إلى اسمه الجامع الذي هو «محمد»، والآل إلى البيت، فآل مضافون إلى كليته، ولجميعة الآل كانوا أحق بالصلاة لما فيها من المطابقة بحسنى، إذ هي عطف شامل، ومن هنا كان «اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد».

أبلغ من صلى على محمد، وعلى آل، باضمار، لأن الآل لجمعيتهم لا يضافون إلى ضمير الغيبة لما فيها من الجزئية، فالمضاف إلى الضمير، يوهم أن المراد آل مخصوصون بحالٍ من أحواله ﷺ لا به من حيث هو هو من جميع أحواله.

٥٩- ولما كان ايقاع الصلاة منه سبحانه بمكان ليس به غيرها، لأنه الذي يصلي له المصلون لحاجتهم إليه، وذلهم بين يديه، فكانت بحيث يهاب طلبها منه ابتداء، وكان التشبيه لا يقتضي تفضيل المشبه به، في كون وجه الشبه فيه أتم ولابُدّ كما تقرر في البيان، بل يمكن أن يكون المراد منه التسوية في مجرد الإيقاع لشهرة المشبه به، بحصول وجه الشبه له عند المخاطب، وتذكير المسئول بما فعله من ذلك، إعلامًا له بمزيد الخضوع، وقد يكون الشيء الموقع ثانيًا أعظم من المفعول أولاً كما لو أن أحدًا قتل شاة بضربة، ثم لقي أسدًا، فقيل له: افعل بهذا الأسد، ما فعلته بالشاة !!

لم يكن ذلك مقتضيًا لأن يكون فعله بالشاة أعظم من فعله بالأسد، وإنما القصد المماثلة في مطلق الإهلاك، أو الإهلاك بضربة قال: «كما صليت على إبراهيم».

أي: أنك لو لم يتقدم فعلك للصلاة بأحدٍ كما تعلق الأمل بطلبها منك هيبة لك، وإعظامًا لجلالك، ورواية: «في العالمين».

تفيد أن المشبه أعظم من المشبه به، بحيث يصير كأنه قيل: صلي على محمدٍ كما صليت على إبراهيم صلاة أعظم من صلاتك على إبراهيم كما يأتي إيضاح ذلك في محله، وذكر ﷺ بأشرف أسمائه، كما فعل بولده «محمد» ﷺ، فإنه كان اسمه أولاً «إبرم» من غير ألف، ولا هاء، ولا ياء، فزاده الله ذلك تكريمًا له كما هو منصوص عليه في بعض كتب الله المنزلة، فعلم علمًا بينًا أن المراد من هذا التشبيه، إنما هو الإعلام بزيادة العظمة للمسئول في إعطائه.

وقد يكون التعليل كما قالوا في قوله: **﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** [البقرة: ٢٣٩].

«وعلى آل إبراهيم».

٦٠- ولما كانت الصلاة كما مضى مدارها الـوصلة، وإظهار الشرف، أتبعها ما يدل على الدوام، فقال عاطفًا للمغايرة، وقصد الجمع: «وبارك على محمد».

أي: أظهر فـيه اليمن، والخيـر، والزيادة، والثبات، والسعـادة إظهار من هو باذل جهده لمغالبة آخر: «وعلى آل محمد».

فـأظهر أيضًا، ولم يضـمر تعظيـمًا، وتلذيذًا، ولما تقـدم من الأبلغيـة: «كمـا باركت على إبراهيم».

أي: الأب الأعظم.

«وعلى آل إبراهيم».

وهم أولاده الأنبـياء الذين ظهـرت بركاته فـيهم، بحـيث كان وجودهـم كأنه وجـوده على جمـيعـهم الصلاة والسـلام، والتـحيـة والإكرام، وقـوله في بعض الروايات: «في العالمين».

معناه: صل علـى محمـد، وعلى آله كما صليت على إبراهـيم وآله كائنًا كل منهم في العالمين.

والعالمون مجتمعون، فيكون المصلى عليه بخصوصه مخصوصًا من بينهم بتلك الصلاة، فيكون أفضل منهم في ذلك، وهذا كـما أنه لو قيل: سلم على فلان من عندي في الجمع الفـلاني، لم يشك في أن المراد إظهار تخـصيصـه بينهم تشريفًا، وهذا لا يشمل من بعد المصلى عليـه، فتفيد الصلاة على نبـينا ﷺ أنه مخصوصٌ بها عن إبراهيـم، وسائر من عداه من الأنبياء من أولاده عليـهم السلام، فيفيد ذلك أنه مفضل عليهم فيها.

٦١- ولما كانت القدرة عـلى إفاضة البركات لا تكون إلا مع الكـمال والعظمة البالغة، والجلال، علل ذلك بقوله: «إنك حميد».

أي: جامع لجميع صفات الكمال.

«مجيد»

أي: بالغ منتهى العظمة والجلال.

٦٢- ولما تم ما للنبي ﷺ الذي لا يكون دين إلا بمصافاته، ومواصلته في مصادقته، وموالاته أتبع ذلك ما للسائل كما مضى من السلام تنبيهًا لنفسه على أنه، وإن كان الآن في الحضرة، فهو في غاية الخطر، وأنه مقصرٌ في الخدمة بماله من النقص، وما للمعبود من الكمال الذي لا يمكن العبد بلوغ كنهه، ولا الوقوف على حقيقته فعليه أن يستشعر أعظم الخوف، والوجل، فقال:

«اللهم اغفر لي».

أي: أوقع الستر لما كان مني من عملٍ غير لائقٍ بجنابك الأقدس، ومقامك الأطهر، الأعظم إلى آخر ما يريد من الدعاء الذي من مأثوره الاستعاذة من الدجال، وعذاب القبر، وغيره، والاستعاذة وإن كان المتبادر أن المناسب تقديمها، لأنها من درء المفاسد الذي هو مقدم على جلب المصالح، لكن دفع ذلك أن التخلي عن الدنايا، إنما يكون في أول السير، وأما بعد الوصول إلى الحضرة العلية التي لا يوصل إليها إلا بعد التخلي عن جميع القواطع.

فاللائق إذ ذاك طلب التحلي بالفضائل والتزين بالرغائب، والفواضل، والتعوذ في آخر ذلك إنما هو للتنبيه على أن الواصل ما دام في دار الفتنة، فالواجب عليه دوام الخضوع، والخشية، والخشوع، وتخصيص الدجال، لأنه أعدى الأعداء، فيكون حال المتعوذ قائلاً إني كما أني مضاف لأول الأولياء من أهل الحضرة الشماء، فإني مباعد، ومجانب، ومجافٍ لأعدى الأعداء، فيفيد ذلك مجافاة كل من ينحو نحوه من الأشقياء.

٦٣- أعاذنا الله من شر القضاء، وجعلنا من البررة الأتقياء، وحشرنا في زمرة الأولياء، إنه البر الرحيم، التواب الكريم.

خاتمــــة

والختام بالسلام للدلالة على الكون في حـضرات الكرام، والرجوع منها بغاية المراد، وأقصى المرام.

قال مـصنفه: وكان فـراغي من هذا المصنف النفيس فـي ليلة الجمعـة سادس عشري شـهر ربيع الأول من شهـور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة بمنزلي مـن رحبة باب العيد من القاهرة المعزية، جـبرها الله تعالى، وكان عملي له كله في ثلاثة أيام متوالية، مع ما فيها من الاشتـغال بما لابُدّ منه من الشواغل من غيره، فالله المسئول في أن ينفع به آمين.

الحمد لله رب العالمين. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكان الفـراغ من كتابـة هذه النسخة المبـاركة يوم الأربعـاء أربع عشر رمـضان المعظم من شهور سنة تسع وسبعين وثمانمائة، والحمد لله وحده.

* * *

الفهارس العلمية للكتاب

(١) فهرس أطراف الأحاديث النبوية

* * *

(٢) فهرس الآثار

(٣) فهرس الرواة والمخرجين من الأعلام

(٤) فهرس الكتب الواردة في الأصل

(٥) فهرس موضوعات الكتاب

* * *

رقم الايداع: ٨٠٨٥/ ١٩٩٥

طبع بدار **نوبار** للطباعة